



أفلاحتنا اللغوية في جامعة



أَفْذَىٰ ذُنُوبِكُمُ اللَّعْنَةُ بِرَبِّكَ يَا جَامِعِيَّةَ

الدكتور محمد راجوادی

إفادات اللغويين في كتاب الجامع





الطبعة الأولى

2020 - 1442

ISBN 978-625-7580-25-0



إهداء

إلى أخي العزيز وصديقي الكريم
الأستاذ الدكتور أشرف فوزي يوسف

هذا الكتاب

نتناول في هذا الكتاب تاريخ علوم اللغة العربية في العصر الحديث الذي شهد اتساع آفاق هذه اللغة في عدة ميادين ، وقد تحقق هذا الاتساع بطريقة طبيعية سلسلة بحيث لم يفتخر اصحاب ذلك النجاح بأن جهودهم تمثل تجديدا في علوم اللغة العربية من داخلها .

أما الميدان الأول فهو بعث المتن وإحياء الألفاظ و تأهيلها لما هي صالحة في الدلالة عليه ، وذلك من خلال إعادة اكتشاف المعاجم العربية بكنوزها ومناهجها ، وهو ما يقابل قولنا المختصر باكتشاف قيمة مفردات الذخيرة ، أو من قبيل القول بالتجديد من طريق التجريد ، لأجل توسعة التجسيد .

وأما الميدان الثاني فهو ميدان المصطلحات العلمية في العلوم الحديثة ومتطلباتها ومفردات الكتابة العلمية باستحداثاتها ، وهو ميدان يتصل بترجمة المعنى من خلال الاشتقاق (وما إليه) أو التعريب المقنن (وما إليه) وهو ما يتطلب الاقتحام الجسور تفاديا للقصور الذي يمكن توجيه الاتهام به .

وأما الميدان الثالث فهو ما بدأ على أنه ضبط للنصوص سواء كان تصحيحا أو تنقيحا و تطور مع الزمن والارتقاء العلمي والأكاديمي فأصبح تحقيقا له مدارسه ومناهجه و ثماره .

وأما الميدان الرابع فهو ما تطورت إليه نصوص اللغة العربية المطبوعة (والمكتوبة من أجل الطبع) من الإخضاع والخضوع لمعايير التوحيد القياسي و الجودة المنطقية والدلالية ، وما اقتضاه هذا من التدقيق والتصوير والتعريف وتعميم قواعد الإملاء والرسم ومحاولة تنظير قواعد التهجي و النطق .

وعلى نحو ما التزمنا به من منهجنا المجتهد في كتابتنا لتاريخ العلم والفكر وفي تاريخ السياسة و الانسانيات فإننا في هذا الكتاب (كما في إخوته) نستعرض ملامح وقسمات تاريخنا اللغوي الحديث فيما بين ١٨٢٧ (حيث بدأ تعامل اللغة العربية مع مناهج الطب في قصر العيني) من خلال قراءة سيرة و إنجازات رواد علماء اللغة الذين قُدر لهم أن يقوموا بأدوار محورية في علوم العربية التي أشرنا إليها بدءا من عصر المطبعة الذي توافق مع عصر ازدهار المدارس العليا التي تولت إعداد المهنيين المتخصصين في الطب والهندسة والعسكرية ، وقد استمرت جهود هؤلاء العلماء ترتقي بهذه الأدوار حتى تسلمت الجامعة الراية بعدما تأكد وجودها وبعدها تأسست معها صياغات متقدمة من التعبير عن الاهتمام الأكاديمي بعلوم اللغة على نحو متخصص ومنهجي كان كفيلا بأن يتوازي مع ما تتطلبه الحضارة ، وما يتطلبه العلم كما كان قمينا بأن يضمن لعلوم العربية شأوا رفيعا لا يقل عما كانت العربية قد أنجزته على مدى القرون بالمراس والمران في تجليات علمية و معجمية رفيعة أثبتت ما حظيت به دراسة العربية على مدى العصور من التفوق في استيعاب اللغة ومنتها وفقها ونحوها وصرفها وبيانها و بنائها على نحو ما نجده منكرسا في إنتاج الأجيال المتعاقبة من اللغويين العرب الموهوبين الذين تكفل تاريخ الحضارة بتجلية عبقريتهم .

ينطلق هذا الكتاب من الفهم الأوسع لأداب اللغة العربية الذي يعنى بكل قدرة بُدلت من أجل توظيف هذه اللغة في العلم ولغته، والتعليم ومناهجه، والمراجع ودقتها. كما ينطلق أيضا من التقدير الحقيقي لكل جهد يبذله أهل العلم من أجل التأصيل والتفصيل. أو من أجل التأييل والتفعيل ، أو من أجل التععيد والتقنين.

نقدم في هذا الكتاب سيرة حياة عشرة من علماء اللغة العربية الأفاضل يمثلون نماذج بارزة بذلنا جهدنا في اختيارها من جيلين متعاقبين من أجيال النهضة الحديثة وإرهاصاتها ، إذ ولد هؤلاء على مدى ستة وثمانين عاما، وامتدت حياتهم في مجملها أو مجموعها ١٥٠ عاما ما بين ١٧٨٩ و ١٩٣٨ .

بين هؤلاء العشرة الأفاضل الذين نقدمهم للقارئ أول من ترجم كتب الطب باللغة العربية وهو الأستاذ محمد عمر التونسي ، وأنبغ من ترجم كتب الهندسة بالعربية وهو الأستاذ ابراهيم الدسوقي ، وأول من كتب في توجهات علوم الاجتماع الحديثة بالعربية وهو الأستاذ حمزة فتح الله ، وأول من كتب في علوم الفلسفة وسماها بالفلسفة العربية وهو الأستاذ سلطان محمد ، وأول من كتب مؤلفا في التربية وهو الأستاذ محمد شريف سليم ، المشهور باسم الشيخ شريف .

ومن هؤلاء من وصلت على يديه فروع علوم العربية إلى ذروتها : الأستاذ نصر الهوريني عميد علماء الإملاء ، والأستاذ حمزة فتح الله عميد علماء اللغة في جيله على وجه العموم ، والأستاذ أحمد الحماوي المنجز العبقري لمؤلفات الصرف والعروض المرجعية والمدرسية المتميزة ، والأستاذ أحمد الإسكندري صاحب المؤلفات المدرسية والعالية في تاريخ الأدب العربي وفي فقه اللغة. كما أن أولهم هو أيضا أول رائد لأدب الرحلة الحديث التي أضافت رحلة مكتوبة في السودان إلى التراث العربي الإسلامي التقليدي لرحلات الحج .

وعلى نحو ما تعود القراء من كتبنا فإن كتابنا هذا يتناول كل هذه القضايا من منظور الطائر الذي يشرف على المدينة من علٍ فيُصور معالمها رابطا بين مواضعها وطرقها وفروعها وتضاريسها، وذلك من دون أن تتقيد رؤيته بنظرة ضيقة هنا أو هناك، أو أن تتقيد حركته بزاوية من زوايا الالتزام المذهبي أو المدرسي في الحكم على الأمور، ذلك إننا حريصون على النجاح في تقديم تاريخ الفكر اللغوي وتاريخ علوم اللغة العربية متضافرين معا من ناحية أولى ، وحريصون أيضا على النجاح في تقديم تاريخ هذا الفكر منتما (انتماء الجزء للكل) إلى التاريخ العقلي وإلى التاريخ العام في الوقت ذاته، ومن فضل الله علينا أننا ، فيما نظن بغرورنا المعهود ، لم نفرط في تصوير صلة أو في تحليل أصل ، فقد كنا حريصين على سمات الجودة والتجويد والارتقاء ما دمنا قد رزقنا التوفيق لهذا العمل وإنجازه ، وأصبحنا قادرين على التصوير والتحليل والربط والاستنتاج والنقد وتصويب أي روايات شائعة أو متكررة من قبيل النقل المستسهل.

على أننا نظلم أنفسنا إذا لم نذكر أننا نميل في هذا الكتاب إلى إلقاء ضوء كاشف أو مؤيد لنظرتنا القائلة بأن توطين العلم والحضارة لا يمكن أن يتم إلا عن طريق اللغة الأم ، وليس من قبيل المبالغة القول بأن فصول هذا الكتاب تمثل بطريقة أو بأخرى زاوية من زوايا النظر في تاريخ العلم في مصر الحديثة ، وكيف بدأت الصلة المصرية الحديثة بمؤلفات الطب والهندسة والتكنولوجيا من ناحية ، ثم بعلم النفس والتربية و الاجتماع من ناحية أخرى، وإذا كنا بفضل الله قد رزقنا التوفيق في تأريخنا لعصر الجمهورية منذ ١٩٥٢ و تاريخنا لعصر النهضة المصرية الذي بدأ مع ثورة ١٩١٩ وما أعقبها فإن هذا الكتاب يتناول الفترة السابقة التي وصفناها من قبل بأنها ما قبل مشرق النهضة، ولهذا فإن هذا الكتاب يأتلف مع مؤلفاتنا التي تناولت هذه الفترة وهي على التوالي في تاريخ صدورها : الأزهر الشريف وبداية الموسوعية العربية الحديثة، ما قبل مشرق النهضة، سلطة العقل الواثق ، أعيان المصريين من الاستقلال للاحتلال وهي الكتب التي وفتت (على التوالي) إلى عرض متوازٍ لسير أعلام الموسوعيين ، ورجال الدولة ، ورجال النهضة الفكرية ، ورجال الحضور المجتمعي على نحو لا يختلف عما يعرضه هذا الكتاب من سير أفاض اللغويين.

ومن نافلة القول أن الأزهر كان هو الوعاء الأول الذي أتاح لهؤلاء العلماء الأجلاء أن يتنامى علمهم باللغة فيه، بعد أن كانوا قد كَوّنوا إمامهم باللغة نفسها، ومن نافلة القول أيضا أن وظائف التعليم بمعناها الواسع كانت هي الساحة التي استوعبت جهودهم، و من نافلة القول ثالثا أن طبيعة مهمة كثيرين منهم كانت ترتبط بما نسميه الآن التعليم والتأليف و التحقيق، والمعجمية، والمجمعية.

وقد مارس هؤلاء الأفاضل هذه الوظائف الخمس بتفوق وإتقان، فصحوا طباعة الكتاب من المخطوطات القديمة مضيفين إليها ما يقتضيه التحقيق من ضبط النص واستكمال النقص، كما وضعوا المصطلحات المتعددة في مجموعات دلالية ترتبط ببعضها، وتتمايز بقدر ما في العلم من تمايز في المفاهيم التي تبدو مشتركة أو قريبة الصلة ببعضها البعض، كما قاموا فرادى وجماعات بمهمة المجامع اللغوية الضابطة

للتعريب والإملاء والنصوصية (بما تشمله من إسناد وتصنيف و تفریع و عرض و تنسيق) والتسهيلات في اللغة وكتابتها، بل لبوا دواعي التطوير الذي كان عنصراً ملحاً من أجل تفعيل وتطوير ما كان يسمى بصندوق الطباعة ، وهو ما يناظر لوحات المفاتيح والأوامر الآن ، فضلاً عما تطور بحكم الاتصال بالمجتمع العلمي الغربي من استعمال علامات الترقيم، والتصفيح والإحالة والاختصارات وهي قضايا تحدثنا عن بعضها بقدر موجز وكاشف في عدد من فصول كتبنا السابقة: " أساتذة الأدب العربي المؤسسون" و " سلطة العقل الواثق" و " الازهر الشريف و نشأة الموسوعة العربية الحديثة" و " الشمعة الأمريكية في نهضة الشام الثقافية الحديثة " .

وفي هذا الكتاب فإننا لا نقف في حديثنا عن كل علم من هؤلاء الأعلام عند إسهامه اللغوي أو العلمي فحسب ولكننا حريصون بالإضافة إلى هذا على الحديث عن الدور المجتمعي لكل علم من هؤلاء الأعلام سواء اتصل هذا الدور بالإصلاح الاجتماعي أو التطور والتقدم، أو بالحفاظ الواعي على القيم والتقاليد والعادات الأصيلة ، أو ارتبط هذا الدور بقضايا الحرية والسياسة والعلاقة بالغرب ، أو لتي الدواعي الاجتماعية والمجتمعية في مستوياتها المختلفة من قبيل إحياء المناسبات الدينية أو الصوفية أو العلمية.

نحرص في هذا الكتاب أيضا على أن نجلي ما ينبغي تجليلته من علاقات هؤلاء العلماء الأفاضل بالاستشراق وبمجتمع المستشرقين أيضاً ، ونفعل هذا كلما كان هناك سبيل إليه ، ونشير إلى المشاركات التي قاموا بها في مؤتمرات المستشرقين الدولية مؤتمراً بعد مؤتمر في وقت مبكر كانت مصر حريصة فيه على الوجود الدولي وعلى إثبات الذات في هذا الميدان فضلاً عن التعاون العلمي بمعناه المثالي، ويمتد هذا بالطبع إلى جهودهم في العمل المشترك مع المستشرقين في مصر وخارجها وبخاصة أن رابعهم وهو العلامة إبراهيم الدسوقي نال شهرته العالمية بعد اشتراكه مع المستشرق إدوارد لين في نشر القاموس كما اشترك أولهم مع في الأستاذ الفرنسي براون في تأسيس وتأليف مراجع مدرسة الطب.

و نشير أيضاً في هذا الكتاب إلى الفضل الذي تحقق على أيدي هؤلاء في مراجعة رسم المصحف ووضع التعريف به، وفي وضع قواعد الكتابة والإملاء وتيسيرها بما يتناسب مع التقدم الذي جعل المطابع تساعد نهضتنا الحديثة في نشر المعرفة المتخصصة والأدب القديم والفكر الثاقب على حد سواء.

و نتناول أيضاً في هذا الكتاب جهود حمزة فتح الله و شريف صالح و الحملاوي والسكندري في التأليف المدرسي والجامعي والأكاديمي على نحو مبتكر وذكي وغير مسبوق وربما أنه غير ملحوق على الرغم من التفوق الذي هيأته التكنولوجيا الحديثة و برامج النصوص الواسعة المدى .

ونحن نصل بتاريخنا لهذه المرحلة إلى الأستاذ أحمد الاسكندري الذي كان يتولى في هدوء وثقة واقتدار كل أركان المهمة التربوية الكبيرة أستاذا وعميدا للغة العربية و آدابها في وزارة المعارف ومعهدا العلمي المتوثب الذي هو دار العلوم وقد أدى هذه المهمة القومية على مدى عقود بتفوق نادر من دون ما تعودده المجتمع بعد هذا من ضجيج الأستاذية و متطلبات مجدها ، كما أنه هو و أسلافه قد أودها وهم يفتقدون القوالب المساعدة والهياكل التي كان لابد لهذه المهمة كي تعين القائم عليها ، فلما لحق بهم على الجارم و أحمد ضيف وطه حسين ومحمد مهدي علام ومحمد خلف الله استضاءوا بجهدهم و استفادوا حتى من وجوده معهم .

يصدر هذا الكتاب بإذن الله وفضله وكرمه متزامنا (و في مقابلة) مع توأمه الآخر المخصص للحديث عن الأساتذة التسعة اللاحقين بهؤلاء الذين استعرضنا جهودهم في كتابنا "النحاة الأكاديميون المؤسسون" ، و الذين يبدأون بالأستاذ ابراهيم مصطفى (١٨٨٨-١٩٦٢) ويصلون إلى الأستاذ عباس حسن (١٩٠٠-١٩٧٨) أي أن حياتهم تمتد على مدى ٩٠ عاما تداخلت في الأعوام العشرة الأولى من بدايتها مع الأعوام العشرة الأخيرة من الحقبة التي يتحدث عنها كتابنا هذا ، وهو ما يتمثل على سبيل الحصر في السنوات التي بدأ ابراهيم مصطفى صعوده في وجود الأستاذ الإسكندري متوجا بمكانته وصلحياته .

أدعو الله سبحانه وتعالى أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يرفع به ، وأدعوه جل جلاله أن يوفقني إلي تقديم ما تبقى من أعمالي ، وقد طال العهد بتجاربيها الطبيعية في ظل غربتي ومرضي وتشردي و استيحاشي ، والوقت لا يسعفني ، والجهد يتضاءل ، والذكاء يخبو ، و الألمعية تنطفئ ، والقلب يئن ، والنظر يكل ، والعقل يتشتت ، والذاكرة تتبدد ، و السهل يتعقد ، والنفس يتقطع ، والأمل يتضعضع ، والعمر قصير ، والواجب كبير ، والمؤجل كثير ، لكن رجائي يتضاعف في فضل الله جل جلاله وكرمه .

والله سبحانه وتعالى أسأل أن يقيني شر الهوى، وأن يقيني شر التعجل، و شرور العجز و الكسل و الوهن ، وأن يقيني شر الانخداع، وأن يرزقني الغنى والهدى والعفاف والتقى، وأن يتجاوز عن سيئاتي، وأن يتغمدي برحمته، وأن يديم عليّ توفيقه، وأن يجعلني قادرًا على شكر فضله.

والله سبحانه وتعالى أسأل أن يمتعني بسمعي وبصري وقوتي ما حييت، وأن يحفظ عليّ عقلي وذاكرتي وحدسي و ذائقتي، وأن يجعل كل ذلك الوارث مني.

والله سبحانه وتعالى أسأل أن يهديني سواء السبيل، وأن يرزقني العفاف والغنى، والبر والتقى، والفضل والهدى، والسعد والرضا، وأن ينعم عليّ بروح طالب العلم، وقلب الطفل ، وإيمان العجائز، و يقين الموحدين، وإخلاص المؤمنين ، وعطاء المحسنين ، وشك الأطباء، وتثبت العلماء ، وخيال المبدعين ، وتساولات الباحثين.

والله سبحانه وتعالى أسأل أن يعينني على نفسي، وأن يكفيني شرها، وشر الناس، وأن ينفعني بما علمني، وأن يعلمني ما ينفعني، وأن يمكنني من القيام بحق شكره وحمده وعبادته، فهو وحده الذي منحني العقل، والمعرفة، والمنطق، والفكر، والذاكرة، والصحة، والوقت، والقدرة، والجهد، والمال، والقبول، وهو جلّ جلاله الذي هداني، ووفقني، وأكرمني، ونعمني، وحبب فيه خلقه، وهو وحده القادر على أن يتجاوز عن سيئاتي وهي ، بالطبع ، وبالتأكيد : كثيرة ، ومتواترة ، ومتنامية، فله سبحانه وتعالى - وحده - الحمد، والشكر، والثناء الحسن الجميل

د. محمد الجوادي

الفصل الاول : الرحالة محمد عمر التونسي

أبرز علماء متن اللغة في القرن التاسع عشر

أول التونسيين الخمسة

الأستاذ الشيخ محمد عمر التونسي هو أول خمسة أعلام أفذاذ من أصل تونسي أثروا في الثقافة العربية المنطلقة من مصر و كان بعضهم يحملون لقب التونسي في أسمائهم أو يعرفون به حتى وان لم يستعملوه بصفة دائمة لكن اللقب بقي حتى الآن لصيقا باسمي أولهم وخامسهم ، وهؤلاء الخمسة هم :

- الأستاذ الشيخ محمد عمر التونسي ١٧٨٩ - ١٨٥٧
- الأستاذ الشيخ حمزة فتح الله (التونسي) ١٨٤٩ - ١٩١٨
- الأستاذ الشيخ عبد العزيز جاويش ١٨٧٦ - ١٩٢٩
- الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين (التونسي) ١٨٧٦ - ١٩٥٨
- الأستاذ الشاعر محمود بيرم التونسي ١٨٩٣ - ١٩٦١

ومع أن الأستاذ عبد العزيز جاويش هو أضعف الخمسة صلة بتونس فإننا لا نستطيع استبعاده من هؤلاء الذين بقي اسم تونس في لقبهم للأبد أو لفترات طويلة ، ذلك أنه هو نفسه في أحد تحقیقات النيابة أصر على إثبات هذا الانتماء ، كما أن لهذا الانتماء أهمية سياسية وفكرية و تاريخية لا تغيب عن فطنة القارئ المؤمن بالهوية و بخاصة في عصر الحقد على الهوية .

دراستنا عن القيروانيين

كنت أعددت دراسة تعريفية بهؤلاء حين شرفت بأن دعيت إلى احتفال الدولة التونسية بالقيروان في ٢٠٠٦ ممثلاً لمجمع اللغة العربية ، بيد أن تطورات مرضي حالت بيني وبين ذلك الحضور في اللحظات الأخيرة .

مكانته بين علماء اللغة

يجدر بنا البدء بالقول بأن الأستاذ محمد عمر التونسي ١٧٨٩ - ١٨٥٧ هو أول علماء متن اللغة العربية في القرن التاسع عشر، وقد وصل علمه بها وتوظيفه لهذا العلم إلى مرحلة متقدمة مكنته من أن يضع أول معجم طبي متخصص في العصر الحديث (وهو اللغوي لا الطبيب) .

وعلى عادتنا في ضبط سياق التاريخ العلمي فإننا نكرر قولنا المجلد بأن الشيخ التونسي هو أول رواد وضع المصطلحات وعلم متن اللغة ، وأن الشيخ محمد قطة العدوي ١٧٩٥ - ١٨٦١ هو عميد المحققين، والشيخ نصر الهوريني (المتوفى ١٨٧٤) هو عميد علماء والإملاء و المعاجم ، و الشيخ إبراهيم عبد الغفار الدسوقي ١٨١١ - ١٨٨٣ الذي هو آخرهم وفاة قد توج جهودهم بما بذله في العناية بالقاموس تحت قيادة المستشرق لين بما جعله ، في نظر كثيرين على رأسهم الأستاذ احمد امين ، يبدو وكأنه عميد علماء اللغة العربية في عصر المطبعة على حين أننا نؤثر القول بأن الأستاذ محمد عمر التونسي سابق الى هذه المكانة و محتفظ بها على الرغم من وفاته قبل الشيخ ابراهيم الدسوقي ذلك أن التفوق الذي أحرزه ظل ولا يزال مضرب المثل حتى الآن .

قيمه كمعجمي صانع لمعجم

نرى أن الأستاذ محمد عمر التونسي احتل هذه المكانة الرفيعة في تاريخ علوم اللغة العربية لأنه هو الذي تولى وضع ونحت المصطلحات الدقيقة للمعاني الطبية والكيمائية والنباتية المستحدثة في أثناء صياغته (او تأليفه او مراجعته او تصحيحه)

للكتب التي ترجمت في عصر النهضة الطبية الحديثة الأولى (وقد تنوعت إسهاماته بين هذه المعالجات الأربع) ، أي التي واكبت النصف الثاني من عهد محمد علي بالترزامن مع افتتاح مدرسة الطب المصرية في ١٨٢٧ بعمادة كلوت بك ١٧٩٣- ١٨٦٨ ، و نحن نعتزف بأنه نقل قائمة المصطلحات المطلوب وضع مقابلات لها من نص أجنبي لكننا نقول إن جهده في الوضع يفوق جهد الشرح و التحقيق بمراحل، وهذا هو سر اختلافنا مع اعتقاد الأستاذين أحمد أمين و محمد رجب البيومي وغيرهما .

قيمة إسهامه في أدب الرحلات

و بالإضافة إلى هذا فقد كان الأستاذ محمد عمر التونسي من رواد أدب الرحلات في الأدب العربي الحديث، وأصدر مبكرا كتابه «نشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان»، واصفا رحلة قام بها إلى السودان، و طبع كتابه هذا في باريس مع ترجمة قام بها سديليلو تحت عنوان «Voyage ou Darfour»، وكتب عنها بالمجلة الآسيوية التي كانت بمثابة أهم المنابر لدراسات المستشرقين .

ومن حيث التاريخ المكتوب أو المعروف لأدب الرحلات فقد كانت رحلته هذه سابقة على رحلة عبد الله فكري باشا المشهورة التي سجلها ابنه محمد أمين فكري في كتابه «إرشاد الألبا إلى محاسن أوروبا»، ومعاصرة لرحلة محمد عياد الطنطاوي إلى روسيا التي سجلها في "هدية العاقل" ولرحلة رفاعة الطهطاوي الأكثر شهرة .

وكتب الأستاذ محمد عمر التونسي كتابا آخر في أدب الرحلات ، ترجمه الدكتور وادي بالفرنسية باسم «Voyage ou Ouaday»، وطبع بها، وضاعت نسخته العربية على نحو ما ذكره أستاذنا خير الدين الزركلي في كتابه الأعلام.

نشأته

ولد الشيخ محمد عمر التونسي (واسمه بالكامل محمد بن عمر بن سليمان التونسي. سنة ١٧٨٩) في تونس، وإليها ينسب، وارتحل إلى مصر مثل والده ليتعلم

في الأزهر، وذاع صيته في العلم والأدب، فاختر وعظا دينيا في الجيش المصري الذي تكون بقيادة إبراهيم باشا، ورافق هذا الجيش، فلما عاد إلى مصر انتدب ليقوم بأعباء التحرير في الكتب العلمية بمدرسة الطب.

اعتزاز الدكتور الفقي بما وصل اليه التونسي

وصف الدكتور محمد كامل الفقي المكانة الرفيعة المبكرة التي وصل إليها الأستاذ محمد عمر التونسي فتحدث عن بدايته الموفقة التي استندت الى ما كان أحرزه من التفوق في العلم :

«ولما عاد من رحلته (رحلة الجيش) كانت مدرسة أبي زعبل قد أنشئت، وأخذ النَّقْلَةُ (أي المترجمون) في ترجمة كتب الطب وغيرها، فعين مصححا وأعجب به الدكتور براون وارتاح إلى أدبه، فقرأ عليه «كلىة ودمنة»، ولمع نجمه في التحرير والتصحيح، وامتاز بين زملائه بمعرفة المصطلحات العلمية العربية، فكانوا يرجعون إليه في تحقيقه، ويطلقون عليه «مصحح كتب الطب»، وكانوا إذا أرادوا أن ينقلوا كتابا في أوائل إنشاء مدرسة الطب وجدوا مشقة في إيجاد الألفاظ العربية الملائمة للألفاظ الإفرنجية في الكتب المترجمة، فيرجعون إليه في تحرير الكتب».

وهذا بالضبط هو المعنى العلمي والعملية لوضع المصطلحات!

دوره اللغوي والمنهجي في مدرسة الطب

يدلنا ما سجلته كتب وقوائم الببليوجرافيا على ما قام به الشيخ محمد عمر التونسي من جهد ضخم بمراجعته ، وتصحيحه، و إسهامه في معالجة عدد كبير من فروع العلم البيولوجي والطبيعي المرتبطة بالطب ودراسته التي نالت اهتمامه، ففي علوم الطب راجع وصحح كتاب "كنوز الصحة ومواقيت المنحة" وكتاب "الدرر الغوال في معالجة أمراض الأطفال" وفي علم التشريح راجع كتاب "التنقيح الوحيد في التشريح الجديد" أما في علم النبات فقد تولى تحرير كتاب "الدرر اللامع في النبات وما فيه من المنافع.

صياغته الجميلة لعناوين كتبه

وكان الذوق الأكاديمي في ذلك العصر يأخذ بالأسماء المسجوعة في تسمية الكتب حتى لو كانت مترجمة، وكانت دلالة الاسم المسجوع لا تقف بالطبع عند حدود البديع، وإنما كان اللفظ مقصودًا لما يوحي به من المعاني المرتبطة بالحجم أو المستوى الدراسي فضلا عن الصفات من قبيل الاختصار أو السرعة... إلخ.

قيمة معجم الشذور الذهبية في الألفاظ الطبية

معجم (الشذور الذهبية في الألفاظ الطبية) للأستاذ محمد عمر التونسي هو أكبر عمل علمي له ، و هو بلغة عصرنا: معجم للاصطلاحات العلمية ، كانت نواته الأولى كتاب فرنسي في المصطلحات الطبية اختاره الدكتور كلوت بك، وقام بترجمته إبراهيم النبراوي ومحمد الشبّاسي، وعيسى النحرأوي، ومصطفى السبكي، وكلّهم أزهريون سافروا إلى فرنسا في البعثات العلمية ، وتخصّصوا في فروع الطب البشري، وعادوا ليكونوا مدرّسين بمدرسة الطب. وقد تولي الأستاذ التونسي فحص كتب التراث اللغوي والعلمي واستقصاء موادها ليستخرج ألفاظا تقي بمعنى و مضمون التعريفات الدالّة على المصطلحات العلمية و الطبية وفق مدلولها الصحيح.

منهجه في معجمه الذي شمل أيضا العقاقير والأعلام

كتب الأستاذ الشيخ محمد عمر التونسي شارحا مهمته في وضع المصطلحات العلمية التي تضمنها المعجم الذي أصدره مشيرا إلى أنه ضمنه أيضا العقاقير والأعلام :

" وقد أوعز إليّ الدكتور براون ناظر المدرسة أن أخذ من الكتاب كلّ لفظ يدلّ على مرض أو عرض أو نبات أو معدن أو حيوان، أو غير ذلك من الاصطلاحات، وأن أستخرج ما في القواميس من التعاريف، وما في تذكرة داوود، وما في فقه اللغة، وغيره من المعاجم وكتب اللغة، ففعلت ذلك، وأضفت إليه أسماء العقاقير، وأسماء الأطباء المشهورين، ورتّبته على حروف المعجم".

الاحترام الذي حظي به معجمه

كانت مهمة التونسي في هذا المعجم العظيم وما تلاه هي التأصيل اللغوي، من خلال مراجعة كتب التراث اللغوي والعلمي لاستخراج التعاريف الدالة على المصطلحات الإفرنجية، وهي مهمة صعبة وليست باليسيرة.

وكان هذا المعجم بمثابة أقصى ما يحتاجه العلم الطبي والعلوم المتعلقة به (كعلوم النبات والحيوان والصيدلة والعقاقير) في العصر الذي صدر فيه، كما كان قابلاً للإضافة.

الجدوى المباشرة لمعجمه

وقد مكن هذا المعجم الأستاذ محمد عمر التونسي من أن يؤلف في أي علم من العلوم التي تتوافر مراجعها في اللغة الفرنسية، لكنه لم يمض في هذا الطريق إلا مرة واحدة تتمثل في كتابه في علم النبات.

معجمه هو جهده الأعظم

وعلى وجه العموم فقد ظل هذا المعجم مثار الإعجاب والتقدير في عصره، حتى بعد أن توالى المعاجم الطبية.

دوره في نشر كلاسيكيات المؤلفات العربية (التراث)

أسهم الأستاذ التونسي بجهده في الإشراف على نشر عدد من كلاسيكيات المؤلفات العربية فكان له إسهام في نشر القاموس المحيط، ومقامات الحريري، والمستطرف في كل فن مستطرف.

تدينه وعلمه

كان التونسي من علماء الدين الذي يجمعون علوم الدنيا إلى علوم الدين، مهما انشغلوا بعلوم الدنيا، ولهذا فإنه لم يكتف بالعمل التحريري، بل خصص يوم الجمعة

لإلقاء درس علمي في الحديث الشريف في مسجد السيدة زينب، ولم ينقطع عنه حتى وفاته.

مؤلفاته

- معجم الشذور الذهبية في الألفاظ الطبية.
- الدر اللامع في النبات وما فيه من الخواص والمنافع.

مراجعة و تنقيح كتب الأستاذ الفرنسي براون

- الازهار البديعة في علم الطبيعة
- الجواهر السنية في الاعمال الكيماوية

راجع وصحح

- كنوز الصحة ومواقيت المنحة.
- الدرر الغوال في معالجة أمراض الأطفال.
- التنقيح الوحيد في التشريح الجديد.

أسهم في مراجعة وتحقيق

- القاموس المحيط.
- مقامات الحريري.
- المستطرف في كل فن مستظرف.

وفاته

توفي الشيخ محمد عمر التونسي سنة ١٨٥٧.

الفصل الثاني : الشيخ محمد قطة العدوي

عميد المحققين القدامى وسيد المدققين الفصاحي

مكانته بين العلماء

الأستاذ الشيخ محمد قطة العدوي (١٧٩٥ - ١٨٦١) هو عميد المحققين في القرن التاسع عشر، وقد منحه أبناء جيله لقب «سيد المحققين والمدققين»، وهو أبرز من نالوا المجد العلمي بعد أن دخلت مصر عصر المطبعة.

وعلى عادتنا في ضبط سياق التاريخ العلمي فإننا نكرر قولنا المجمل في التأصيل لدور هؤلاء العلماء بأن الشيخ محمد عمر التونسي (١٧٨٩ - ١٨٥٧) هو رائد واضعي المصطلحات وأول علماء علم متن اللغة، و الشيخ محمد قطة العدوي (١٧٩٥ - ١٨٦١) هو عميد المحققين، والشيخ الهوريني (المتوفى ١٨٧٤) هو عميد علماء المعاجم والنسخ والإملاء، و الشيخ إبراهيم الدسوقي ١٨١١-١٨٨٣ هو عميد علماء المتن و الكتابة العلمية .

شهرته الطاغية

لا يزال الشيخ العلمية محمد قطة العدوي يعرف و يعرف في الأوساط الثقافية بأنه هو العالم الأزهرى الجليل الذي يعود إليه الفضل في تقديم كلاسيكيات الأدب العربى (الشعبى) وفي مقدمتها نصوص «ألف ليلة وليلة» إلى قراء العصر الحديث، وقد قام بهذا الواجب من خلال وظيفة المصحح التي كانت في زمانه بمثابة وظيفة جوهرية كبرى، لا تقف عند حدود ما نعرفه الآن من التصحيح التقليدي، لكنها كانت تشمل كل جوانب التعريف و التصدير و التقديم والتصحيح والنقد والتحقيق معًا.

وكانت هذه الوظيفة قادرة على تقديم أقصى درجات العلم الدقيق في هذه الميادين، ولم تكن كما صار إليه حالها تقتصر (في أحسن الأحوال) على ضبط التزام النصوص بالقواعد الإملائية والنحوية.

وقد قدم العلماء الأزهريون من خلال هذه الوظيفة خدمات جليلة للتراث، وهكذا أمكن القول المبكر بأن الأستاذ محمد قطة العدوي واحد من رواد المحققين اللغويين من دون أن يكون في هذا القول ما ينفي عن الرجل مجده في إنجازات أخرى قام بها.

تكوينه العلمي وشهرته المبكرة

نشأ الشيخ محمد قطة العدوي في بني عدي التابعة لمركز منفلوط بمحافظة أسيوط، وإليها ينسب، وتلقى تعليماً دينياً تقليدياً، ثم تلقى العلم في الأزهر وحضر حلقات الدرس فيه، وأتم علومه فيه.

وفي أثناء دراسته مال الشيخ محمد قطة العدوي بجوارحه ووقته إلى دراسة ما كان متاحاً من كتب الأدب القديم. واشتهر عنه ذلك بين معاصريه، وكان هذا هو السبب الجوهرى الذي دفع لاختياره مصححاً للكتب بمطبعة بولاق عند إنشائها.

وكانت ثقافته الواسعة تعينه على أن يستدعي الصواب من ذاكرته أو حافظته أو قريحته، وقد وصل الأمر في الاعتراف بقدرته على تحقيق النصوص أن سمي - كما ذكرنا - بسيد المحققين والمدققين.

نهجه في التعريف بما حققه من خلال الخاتمة

عرف عن الشيخ محمد قطة العدوي أنه كان يكتب خاتمة للكتاب توازي وتتفوق على ما نسميه اليوم دراسات التحقيق، وكان يكتب هذه الدراسات مشيراً إلى فضل المؤلفين من دون أن يشكو معاناته هو نفسه في المراجعة والتحقيق، وكأنما كان يؤمن بأن هذه المعاناة ليست إلا واجبا طبيعياً يقتضيه العلم وتفرضه أمانته.

نبوغه في علمي التفسير والفقہ المالكي

اشتهر الشيخ محمد قطة العدوي بتدريس تفسير القرآن الكريم، وتدريس الفقه المالكي على عادة العلماء من أهل الوجه القبلي، وكانت حلقاته بالجامع الأزهر الشريف في الدرسين معا موضع تراحم بين الطلاب، حين كان النظام التعليمي يتيح للطلاب أن يختار من يشاء من الأساتذة دون تقييد بجدول أو مدرس.

مناظراته مع الشيخ سليمان الجمل

ومن المعروف عن التقاليد العلمية في ذلك الزمن ، أن مدرس الحلقة كان إذا قرر رأيا علميا وانتقل صداه إلى زميل يخالفه في تقريره فان الأستاذ صاحب الرأي المختلف يحضر إلى مجلس الأستاذ الاول في درسه بين الطلاب، و يعارضه بالدليل في رحابة صدر، وفي هذا الاطار اشتهرت مناقشات الشيخ محمد قطة العدوي العلمية مع زميله الشيخ سليمان الجمل صاحب الحاشية الشهيرة « حاشية الجمل على الجلالين»، إذ كانا يتناظران في المسائل العلمية على مشهد من العلماء والطلاب معا. ولما كان الشيخ الجمل شافعيًا من الوجه البحري وكان أهل الصعيد يتعصبون لعلمائهم فإنهم كانوا يقولون لأبناء الوجه البحري : إن قطنا غلب جملكم .

آثاره

أشهر ما نشره الشيخ محمد قطة العدوي هو كتاب ألف ليلة وليلة بأجزائه الأربعة.

ثاني أشهر ما قام به الشيخ محمد قطة العدوي في مجال النشر والتحقيق والتصحيح كتاب «كلىة ودمنة»، وقد طبع للمرة الأولى بتحقيق الشيخ قطة مع قصيدة ممتازة نظمها شيخ الإسلام في عصره الإمام الشيخ حسن العطار الذي قدمنا ترجمته الوافية في الفصل الأول من كتابنا "الجامع الأزهر ونشأة الموسوعة العربية الحديثة".

جهده في تفسير الزمخشري

بدأ الشيخ محمد قطة العدوي تصحيح الكشاف للزمخشري، ولم يكتب له أن يتم تصحيحه، فأثمه الشيخ محمد الصباغ الأزهرى، وقال في خاتمة التفسير الشهير: «تم تهذيبه وتصحيحه، وترصيع جوهره وتنقيحه، فبعضه بمعرفة خاتمة المحققين وسيد المدققين الشيخ محمد قطة العدوي، فسح الله تعالى له في قبره، ورزقه في الجنان أكبر مزيد من خيره، وبعضه بمعرفة الفقير إليه سبحانه محمد الصباغ، أسبغ الله عليه نعمه أتم إسباغ».

تحقيقاته في علوم الفقه

- تولى الشيخ محمد قطة العدوي نشر حاشية الطهطاوي على مراقي الفلاح في فقه الحنفية، وذلك على الرغم من أنه كان من فقهاء المالكية.
- نشر الشيخ محمد قطة العدوي شرح الفتاوى الحامدية لابن عابدين (وهي من فقه الحنفية أيضاً).

وفاته

توفي الشيخ محمد قطة العدوي في عام ١٨٦١

الفصل الثالث : العلامة نصر الهوريني

واضع دستور الإملاء العربي و أول علماء المعاجم

كان الشيخ نصر الهوريني (المتوفى ١٨٧٤) واحداً من عباقرة الأزهر الموهوبين في دراساتهم اللغوية والأدبية كما كان من الذين وظفوا موسوعيتهم من أجل اللغة العربية، فوضعوا الأساس المتين للدراسات اللغوية في متن اللغة ومعاجمها، ورسموا طرقاً مبتكرة لتوحيد الكتابة العربية.

وفضلاً عن هذا، فإن الشيخ الهوريني حقق عدداً من الكتب المهمة، وشرح عدداً آخر، وهو من أبرز أبناء جيله الذين أفادتهم الثقافة الفرنسية واللغة الفرنسية في تطوير المنهج العلمي.

وعلى عادتنا في ضبط سياق التاريخ العلمي فإننا نكرر قولنا المجمل بأن الشيخ محمد عمر التونسي (١٧٨٩ - ١٨٥٧) هو الرائد الأول لواضعي معاجم المصطلحات، و الشيخ محمد قطة العدوي (١٧٩٥ - ١٨٦١) هو عميد المحققين، والشيخ نصر الهوريني (المتوفى ١٨٧٤) هو عميد علماء المعاجم والنسخ والإملاء، وقد توج الشيخ إبراهيم الدسوقي ١٨١١-١٨٨٣ كل هذا بما أنجزه في نشر القاموس المحيط وتحقيقه فضلاً عن جهده في الكتب الطبية والهندسية .

نشأته و وظائفه

يلقب بأبي الوفاء، ومن الطريف أن والده كان اسمه نصر أيضاً، وهو أمر نادر، وهكذا فإن اسمه على الطريقة الحديثة في كتابة الأسماء يصبح : نصر نصر يونس الوفائي الهوريني.

هو واحد من العلماء المعاصرين لرفاعة الطهطاوي (١٨٠١-١٨٧٣)، وقد كان من علماء الشافعية، وكان يحرص في كتابة اسمه على أن يثبت نسبة نفسه أيضا إلى المذهب الأشعري، وقد تولى التدريس بالأزهر، ومدرسة الألسن، وسافر إماما لبعثة علمية في فرنسا في عهد محمد علي (كما كان الحال مع رفاعة) فساعد ذلك على معرفة لغتها، وتعمق في مناهج اللغة العربية والبحث بها، وإن كان مجد الشيخ رفاعة (الذي توفي قبله بعام) غلب على مجده بسبب شهرة من يتصدون للعمل العام.

و حين اختير الهوريني للعمل بالمطبعة الأميرية كان أبرز مَنْ نشطوا في العمل بها تصحيحا وتحقيقا، وشرحا وتأليفا، وتولى في أثناء عمله في المطبعة تصحيح عدد كبير من كتب العلم، والتاريخ، واللغة على حد سواء.

رئاسته للتصحيح في المطبعة الاميرية

توجت حياة الشيخ نصر الهوريني الوظيفية باختياره رئيسا للتصحيح في المطبعة الأميرية.

شهرته نبعث من نشره للقاموس المحيط

عرف الشيخ نصر الهوريني على نطاق واسع بالتفوق في مجال التحقيق، بسبب إشرافه على طبع القاموس المحيط وتحقيقه.

ريادته لعلم المعجمية

كان الشيخ الهوريني هو العالم الذي بدأ ما عرف بعد ذلك بانه علم المعجمية العربية وذلك على الرغم من ان هذا العلم نفسه قديم و شهد اسهامات متميزة منذ عصر الخليل بن أحمد الفراهيدي وحتى الآن ، لكن الأستاذ الهوريني هو من يستحق أن ينسب إليه فضل تأصيل هذا العلم من خلال ما أنجزه من الإلمام بفك رموز القاموس المحيط ، ومعرفة إشارته، وطريقة الاهتداء إلى معانيه. وقد أنجز الهوريني هذا و أتاحه للتالين له محررا و مضبوطا من خلال مقدمة علمية جميلة للقاموس

تضمنت الموازنة بين المعاجم العربية واصطلاحاتها المختلفة، وكانت أساساً متيناً لكل ما كتب بعد ذلك في تاريخ المعاجم العربية.

عوامل تفوقه

و بهذا الاسهام يمكن لنا القول بلا مبالغة بأن الهوريني أحرز تفوقه في علوم «المعجمية العربية» بفضل تمكنه العميق من علوم اللغة وبخاصة فنون النحو والاشتقاق والتصريف، فضلاً عن بصيرته النافذة والناقدة في اللغة العربية، وهي بصيرة مستنيرة غذتها وعمقتها معرفة اللغة الأخرى التي اطلع عليها وتمكن منها.

تأريخه لعلم المعاجم

ومن أجل إنجاز دراسته العظيمة في تاريخ المعجمية العربية رجع الشيخ الهوريني إلى كتب عديدة كان منها شروح المناوي والفاصي والزبيدي على القاموس، كما أنه لم يدرس القاموس بعيداً عن واضعه، فقد ترجم للفيروز آبادي ترجمة وافية، وأبان عن فضله وما تميز به العلامة الفيروز آبادي من منهج علمي وقدرات خارقة كشف عنها منهجه في تأليف القاموس.

وصف الدكتور البيومي لجهده

ومع أن أكثر الكتب التي رجع إليها الشيخ الهوريني كان لا يزال مخطوطاً عندما نشر مقدمته العظيمة، فإنه أتم دراسته على هذا النحو الجميل الذي وصفه الدكتور محمد رجب البيومي بأنه :

«يوحى بقوة الإرادة، وشدة الحزم، لأن قراءة النصوص اللغوية في اشتقاقاتها الغربية المتنوعة مجهددة ومتعبة، فإذا كانت هذه القراءة في مخطوطات متآكلة ومخرومة فإن الإجهاد أشق، والكفاح مرير».

«وقد حذر الهوريني مبكرًا قارئ القاموس المحيط من التعجل في القراءة، لأن المركب صعب، والعدة غالية الثمن، إذ تتطلب غوصًا على خفايا التركيب، ودلالة اللفظ مجردًا ومزِيدًا، وهذا ما لا مبالغة فيه».

الشرح الكاشف الذي أظهر به جهد الفيروزبادي

ولما كان صاحب القاموس المحيط قد تعمد (أو اضطر إلى) أن يضع مقدمة عويصة المعنى تحتاج إلى شرح كاشف، فإن الشيخ نصر الهوريني، كما قرر أستاذنا الدكتور البيومي، قد تولى - بعد عصور من وضع القاموس المحيط - كتابة هذا الشرح، الذي كان صاحب القاموس يتمناه، على وجه مسهب رائع حقًا! حتى كادت هذه الديباجة أن تفرد بسفر مستقل، لنفاسة ما جمعت من فنون الشرح والتحقيق، وقد دلت على وفرة المصادر بين يدي الهوريني، ومن بينها مصادر لم تطبع حتى الآن.

العميد المؤسس لعلم الإملاء

تحقق للشيخ نصر الهوريني تفوق في مجال آخر من مجالات خدمة اللغة العربية، فهو الذي تولى ضبط الرسم العربي للكتابة، وحروف الإملاء، فقد كانت كتب التراث لا تنقيد في الرسم الهجائي بقواعد متفق عليها، وكان كل مؤلف يكتب بما عن له، ومن ثم فقد كانت الهمزة ترسم على نحو ما في كتاب، وعلى نحو مغاير في كتاب آخر، وهكذا غيرها من حروف المد والوصل والقطع والعلة، مما يسبب ارتباكًا لغير الدارس المتخصص، حتى جاء الشيخ نصر الهوريني فنشر كتابه «المطالع النصرية للمطالع المصرية»، ليكون بمثابة ما نسميه الدليل العملي Manual الذي يجمع المشتغلين بالطباعة والنسخ على منهج واحد، بعد دراسة فاحصة لمناهج وطرق الأساتذة السابقين في الرسم العربي، ومقارنة هذه القواعد مقارنة علمية بما اشتهر في كتب التراث ليرجح مذهبًا على مذهب.

كان من الطبيعي أن تكون بعض القواعد التي اختارها الهوريني مخالفة لبعض طرق أقطاب اللغويين ومعتمدة على منهجه هو نفسه، وهكذا فإن الشيخ الهوريني

جمع الكتاب من الناسخين على مذهب واحد. وهو فضل شبيهه في جوهره بفضل لاحق للشيخ المراغي وأقرانه في تقنين الشريعة الإسلامية في الأحوال الشخصية بتشريع واحد من دون التقيد بمذهب واحد.

اعتراف الأب الكرملّي بنفوذه العلمي

أثبت الدكتور محمد رجب البيومي ١٩٢٣- ٢٠١١ هذا المعنى عندما لاحظ أن الأب أنستاس ماري الكرملّي ١٨٦٦- ١٩٤٧ على سبيل المثال، أصيب بالغيرة من هذا التفوق الذي أحرزه الهوريني في تأصيل قوانين الإملاء العربية، ولم يخف الأب الكرملّي غيرته من نجاح الأستاذ الهوريني، حيث قال:

«أخذ الاختلاف يزول شيئاً فشيئاً من بين ظهрани أبناء النيل، أو كاد يزول، لأن الشيخ العلامة نصر الهوريني وضع رسالة «المطالع النصرية» ووشّأها بقواعد لم يتبع فيها إماماً واحداً من أئمة العربية ولغويها، بل جمع بينهم، لأن اختياره لهم لم يكن مؤقتاً ولا دائماً حسناً (هكذا يقول الأب أنستاس!) :

"فقد خالف أحياناً سيبويه، والحريري، والخفاجي وغيرهم من أولئك الأساطين الأقدمين، كما خالف ثقاة المتأخرين كجماعة الألوبيين، ومع ذلك راج كتابه أي رواج، لأنه تولى تصحيح أسفار المشاهير من الأقدمين، وكانت تطبع في مطبعة بولاق المصرية منذ تولى تصحيح ما يصدر فيها، حتى شاع رسم الهمزة على ما أراد (أي الشيخ الهوريني) لا على ما كان رسمها المؤلف الأصيل في كتابه».

تعليق د. البيومي على رأي الأب الكرملّي

وقد علق الدكتور محمد رجب البيومي على هذا الرأي الجميل «المشبع» بالغيرة للأستاذ الكرملّي فقال:

«إن كلام الأب أنستاس ينطق بفضل حاول إخفاءه، لأن الذي يقرأ جميع ما قال الأئمة، ويختار من أقوالهم ويترك، هو إمام مثلهم».

«ويكفي أنه عصم القارئ من اضطراب الرسم، إذ كيف يقرأ اللفظ المهموز في كتاب على غير منحاه في كتاب آخر، ويكون الجميع جائزا لأن مؤلفا قديما أجازته؟! ليس ما ذكره الأب الناقد ينطق بفضل العالم الأزهرى الكبير!».

استدراكنا اليسير

على اننا نستدرك فنقول ان هذه الغيرة لم تكن غيرة حية أي غيرة أحياء متعاصرين ، وانما كانت غيرة تجاه الماضي ، ذلك ان الاستاذ الهوريني توفي حين كان الاب أنستاس لا يزال في السادسة من عمره .

دوره في تحقيق التراث

على سبيل الإجمال فإن للشيخ نصر الهوريني فضل متميز على القارئ العربي والمكتبة العربية :

- ألف شرحه الوافي لمقدمة القاموس
- ألف مقدمة وافية لصاح الجوهري
- وتولى تصحيح المزهر للسيوطي
- تولى تصحيح مقدمة ابن خلدون والجزء الثاني من تاريخه!!

أسلوبه في التحقيق التاريخي لأعمال ابن خلدون

اعتمد الشيخ الهوريني في تحقيق آثار ابن خلدون ، على نحو ما ذكر في مقدمة التحقيق - على كتب تاريخية مهمة، منها شرح المواهب اللدنية، وتاريخ ابن كثير، وتاريخ ابن الأثير، ولم يشر لتاريخ الطبري، إذ لم يهتد إليه في زمانه.

كان يملك اعتداد العلماء الوثائقين

بقي أن نشير إلى ملحوظة مهمة وهي أن الشيخ نصر الهوريني كان معتدًا بنفسه اعتداد العلماء الوثائقين، وقد سمى أكثر من كتاب من كتبه باسمه، وقد قدمنا الحديث

عن «المطالع النصرية»، كذلك فإنه سمي كتابه الذي شرح به رسالة ابن زيدون «التحريرات النصرية».

آثاره

- تفسير سورة الملك.
- «المطالع النصرية للمطابع المصرية»، وهو الكتاب المرجعي الأول والأقدم في أصول الكتابة والنسخ وقواعد الإملاء في اللغة العربية.
- شرح ديباجة القاموس: مقدمة القاموس للفيروزبادي.
- فوائد شريفة في معرفة اصطلاحات القاموس.
- مختصر روض الرياحين لليافعي.
- تسلية المصاب عند فراق الأحباب.
- التوصل لحل مشاكل التوصل.
- شرح التوصل لحل مشاكل التوصل.
- المؤلف والمختلف.
- رسالة في أسماء رواة الحديث.

في البلاغة و لغة الأدب

- شرح العينين في شرح عنين.
- حاشية على بسملة الأحرار في أنواع المجاز.
- تقييدات على رسالة في المجاز.
- التحريرات النصرية على شرح الرسالة الزيدونية.
- تعليقات على شرح ابن نباتة لرسالة ابن زيدون.

وفاته

توفي الشيخ نصر الهوريني في سنة ١٨٧٤.

الفصل الرابع: إبراهيم الدسوقي بك

العلامة الأزهرى الذي طوع العربية للهندسة والطب

نبدأ بأن نكرر رأينا القائل بأن الشيخ إبراهيم عبد الغفار الدسوقي (١٨١١ - ١٨٨٣) هو أشهر علماء اللغة العربية في عصر المطبعة وإن لم يكن أولهم ، وذلك على النحو الذي لخصناه في مقدمة كتابنا هذا ، ولهذا السبب يأتي الحديث عنه ليكون بمثابة الحديث المتقدم في ميدان علماء العربية في عصر المطبعة، بيد أننا نرى في ريادة الأستاذ محمد عمر التونسي وسبق مولده ما يجعله سابقا على الأستاذ الدسوقي عن جدارة ، وينطبق هذا الى حد ما على ريادة الشيخ محمد قطة العدوي للتحقيق و على ريادة الأستاذ الهوريني للمعجمية و مناهجها ويأتي الأستاذ الدسوقي في المحل الرابع ليتوج جهود زملائه الثلاثة على نحو ما رتبنا فصول هذا الكتاب ، ونحن نخالف في هذا الترتيب ما درج عليه أستاذنا أحمد أمين و محمد رجب البيومي بيد أننا ندرك أن من السهل على القارئ أن يدرك ما جعل كلا منهما يقدم الشيخ الدسوقي ، .

التفريق بين من يحملون الاسم

اسمه بالكامل مع لقبه: الشيخ إبراهيم عبد الغفار الدسوقي ، وهو كاف للتعريف به ، و لكننا رأينا أن يكون اسمه فيما أنجزناه من الموسوعات ، ومشروعاتها وفهارسها : الشيخ إبراهيم الدسوقي (المحقق)، تمييزاً له عن الوزير إبراهيم الدسوقي مرعي (وزير الأوقاف في مطلع عهد الرئيس حسني مبارك) وبالطبع فإنه لا يحتاج تمييزاً عن وزير الأوقاف الدستوري إبراهيم الدسوقي أباطة باشا ١٨٨٩ - ١٩٥٣ ومع هذا فإن الخلط بينهما قد بدأ يظهر في مواقع "الشابكة" العنكبوتية .

نشأته

ولد الشيخ إبراهيم عبد الغفار الدسوقي سنة ١٨١١ في دسوق وإليها ينسب، وهو إن لم يكن من سن رفاة رافع الطهطاوي بالضبط فإنه لاحق به مباشرة، إذ يصغره بعشر سنوات فقط، كما أنه توفي بعده بعشر سنوات أيضا، وفضله العلمي لا يقل عن فضل رفاة لكن رفاة يتفوق عليه بما اجتهد فيه من دور حضاري وتنويري، وكلاهما من علماء الأزهر السابقين على جيل الشيخ محمد عبده بجيلين.

نسبه و مولده

لخص العلامة احمد امين نسب الشيخ إبراهيم الدسوقي (المحقق) فقال انه إبراهيم الدسوقي الشهير بعبد الغفار من نسل سيدي موسى الدسوقي، أخي سيدي إبراهيم الدسوقي، صاحب المقام بدسوق، من أسرة تنتمي إلى الحسين بن علي بن أبي طالب، ولذلك كان يعد هو وأسرته من الأشراف، ولد ببلدته دسوق سنة ١٨١١، ونشأ يتيمًا، فقد مات أبوه وهو صغير، فأرسل إلى الكُتَّاب وحفظ القرآن، وكان بدسوق معهد صغير تلقى فيه مبادئ العلوم الأزهرية، ثم أرسل إلى الأزهر وكان بالأزهر علماء كبار أصلهم من دسوق، أمثال الشيخ محمد عرفة الدسوقي والشيخ مصطفى البولاقى، وقد اتصل بعلماء بلده وغيرهم من علماء عصره، كالشيخ محمد عlish شيخ المالكية، والشيخ محمد الشيبيني، والشيخ عبد الرحمن الدمياطي.

الأستاذان اللذان تأثر بهما

تأثر الشيخ إبراهيم الدسوقي تأثرًا خاصًا برجلين من شيوخه كانت لهما نزعتان خاصتان نادرتان في ذلك العصر:

- أولهما شيخه وقريبه وبلديه الشيخ مصطفى البولاقى، الذي كان مع تبحره في العلوم الأزهرية ميالًا إلى العلوم الرياضية، كالحساب والهندسة والفلك، وقاده شغفه بهذه العلوم إلى مصادقة العلماء الرياضيين المشهورين وأساتذة مدرسة المهندسخانة من طبقة محمود باشا الفلكي،

، و نال التفوق في هذه العلوم حتى ألف رسائل كثيرة في الجبر والمقابلة وحساب المثلثات.

▪ والثاني هو الشيخ أحمد المرصفي ، والد الشيخ حسين المرصفي صاحب الوسيلة الأدبية ، فقد كانت له نزعة أدبية كما كان واسع الاطلاع، سميرًا لطيفًا، ومحدثًا ممتعًا.

تكوينه الثقافي و وظائفه

تلقى الشيخ إبراهيم الدسوقي علوم الدين واللغة في الأزهر الشريف، لكنه كان كما وصفه الدكتور محمد رجب البيومي ذا ميل للأدب والشعر، حيث تتلمذ على شيوخ يهتمون بهما، وقد قرأ دروس البلاغة واستوعبها.

وظائفه المبكرة

تخرج الشيخ إبراهيم الدسوقي في الأزهر في منتصف عهد محمد علي باشا، واختير ليتولى مراجعة النصوص وتصحيحها كما كلف بالتعاون مع المترجمين على إتمام وظيفتهم تبعًا للقواعد اللغوية العربية.

وقد عمل أولاً في مدرسة الطب حيث عين «مساعد مصحح» للكتب الطبية في مدرسة أبي زعل ، وفي تلك المدرسة اشتهر اسمه وعلمه فقد ساعد بدأبه وعلمه وموهبته على دقة الترجمة، واتصل ببيئة ساعدته على التطلع إلى آفاق أخرى. فكان أطباء هذه المدرسة يؤلفون ويترجمون ويطبعون، ويساعد هو في تصحيح اللغة وتصحيح الطبع.

نشاطه الصحفي المبكر

شارك الشيخ إبراهيم عبد الغفار الدسوقي في تحرير مجلة «الوقائع المصرية»،

ريادته للصحافة العلمية و الطبية

اشترك الشيخ إبراهيم الدسوقي في إصدار و تحرير مجلة «اليعسوب» الطبية وكان بمثابة رجلها الثاني مع مؤسسها ، وبهذا كان رائدا مبكرا من رواد الصحافة الطبية والعلمية أيضا .

نشاطه في مدرسة المهندسخانة

ثم نقل الشيخ إبراهيم الدسوقي إلى مدرسة المهندسخانة وترقى إلى وظيفة مصحح، وقد أنشئت مطبعة حجر يطبع عليها الأساتذة بعض كتبهم بأشكالها ورسومها، ثم أنشئت في المدرسة مطبعة حروف بجانب مطبعة الحجر، وتعين الشيخ الدسوقي لتصحيح هذه الكتب.

وانتقلت هذه المدرسة بعدُ إلى بولاق، فعهد إليه أمران: أن يعلم فرقتين من طلبة المهندسخانة اللغة العربية ليحسنوا الترجمة من الفرنسية إلى العربية، وأن يصحح ما تطبعه هذه المدرسة من كتب الرياضة.

فضله في مصطلحات الهندسة

يروى أنه في مدرسة المهندسخانة كان هو وحده الذي تولى تصحيح جميع الكتب الرياضية والهندسية التي ترجمت في مدرسة الهندسة إلى أن أغلقت المدرسة.

و يبدو بوضوح للمطلع على آثار تلك الفترة أن فضل الشيخ الدسوقي الريادي في ترجمة علوم الهندسة ومصطلحاتها يوازي فضل الشيخ محمد عمر التونسي على مصطلحات الطب وعلومه فقد أشرف على تصحيح مؤلفات الأساتذة في علوم الجبر والحساب والطبيعة والمعادن والهندسة، ثم عين مدرسا للغة العربية بها، حين انتبه الأساتذة الكبار الى ضرورة ألا يجرموا الطلاب من دراسة لغة الوطن، ليستطيعوا الترجمة والفهم و التعبير بأنفسهم من دون وسيط أزهري او غير أزهري وهو ما نعرفه ونفهمه و نتحدث عنه على انه احد مقومات توطين العلم .

خطوته الثالثة : انتقاله للمطبعة الاميرية

لما أغلقت مدرسة المهندسخانة في عهد الوالي سعيد باشا، نقل الشيخ الدسوقي إلى المطبعة الأميرية ببولاق ليصحح فيها الكتب ويشارك في تحرير الوقائع المصرية، وقد رقي في عهد الخديو إسماعيل إلى وظيفة باش مصحح المطبعة،

أضاف إلى التصحيح التعريف والتقديم والتحقيق

تمكن الشيخ إبراهيم الدسوقي بفطرته السليمة وحاسته المنهجية من أن يطور مهمة التصحيح المطبعي إلى أفقها الأعلى في إثراء الثقافة واللغة على حد سواء ، فقد تعود ألا يترك عمله من دون تجويد، و هكذا جعل من عادته أن يكتب في آخر كل كتاب يتولى تحقيقه كلمة مسجوعة يثني فيها على المؤلف، ويشير إلى مزايا الكتاب.

وعلى هذا النحو أصدرت المطبعة الأميرية كتبا كثيرة تحمل اسمه، فهو في آخر كل كتاب يصححه يضع له خاتمة بأسلوبه المسجوع حسب نهج ذلك العصر

تحقيق ديوان المتنبي

تولى الشيخ إبراهيم الدسوقي الإشراف على طبع ديوان المتنبي بشرح الكعبري، وعلى طبع «تزيين الأسواق».. وحقق مجموعة أخرى من كتب الأدب ، وهكذا أصبح من الأدباء المحققين على نحو ما كان ذا صلة وثيقة والفقه والحديث والأدب والبلاغة والتفسير، وعلى نحو ما كان ذا صلة وظيفية دائبة بكتب الطب والرياضة والهندسة ، و على وجه العموم فقد كان الشيخ إبراهيم الدسوقي يرى نفسه أهلا للقيام بأعباء تحقيق الكتب التي تخرجها المطبعة في كل اتجاه!

بعض الكتب التي حققها وقدم لطباعتها

- الطبعة الثانية من تفسير الكشاف للزمخشري مع التعريف به و بتفسيره.
- «منار الهدى في الوقف والابتداء» للأشموني.

- صحيح مسلم
- صحيح الترمذي في الحديث النبوي.
- «قانون ابن سينا في الطب».
- شرح التنوير على سقط الزند» للتبريزي.
- المثل السائر لابن الأثير.
- تزيين الأسواق
- الإنسان الكامل

رسالة في فضائل الخيل

للشيخ إبراهيم عبد الغفار الدسوقي رسالة في فضائل الخيل مخطوطة في دار الكتب أرجو الله أن يوفقني لنشرها في مشروع كنوز القرن التاسع عشر

وصف احمد امين لحيلته في سجع اسمه

" ولما كان لقبه «الدسوقي» ،وهي كلمة صعبة في المزاج ، كان يجهد نفسه في البحث عن سجة تناسب هذا اللقب، وأحياناً يفر منها إلى سجة أسهل منها تناسب عبد الغفار، فيقول، مثلاً، في آخر تاريخ ابن الأثير: «يقول المتوسل إلى مولاه بالنبي المختار، إبراهيم الدسوقي الملقب بعبد الغفار، خادم تصحيح كتب العلوم والفنون، بدار الطباعة ذات الطبع السليم المصون». وفي آخر كتاب «تزيين الأسواق»: «يقول المتوسل إلى مولاه بالقطب الحقيقي، إبراهيم عبد الغفار الدسوقي». وفي آخر كتاب «الإنسان الكامل»: «يقول المتوسل إلى الله بالجاه الصديقي، إبراهيم عبد الغفار الدسوقي»، وفي آخر شرح العكبري: «يقول المتوسل إلى الله بالجاه الفاروقي، إبراهيم عبد الغفار الدسوقي».

وفي كل ذلك يدعو للخديو إسماعيل وأنجاله الكرام، كما يدعو لذوي المهارة والفتانة، مدير المطبعة ، وملاحظ المطبعة ذي القدر الممجد، أبي العينين أفندي أحمد.

عمله الأشهر : اشتراكه مع المستشرق لين في شرح القاموس

نال الشيخ إبراهيم عبد الغفار الدسوقي شهرة واسعة في دوائر الاستشراق نظراً لاشتراكه مع المستر إدوارد لين ١٨٠١-١٨٧٦ في شرح القاموس المحيط ، قبل أن يقوم ذلك المستشرق العظيم بترجمته إلى الإنجليزية.

وقد وصف العلامة الأستاذ أحمد أمين طريقة لين في التعاون مع الشيخ الدسوقي في انجاز القاموس فقال :

"أعدّ المستر لين مكتبة يستعين بها على عمله، فعنده نسختان خطّيتان من القاموس، ونسختان من الصحاح، ونسخة من تاج العروس شرح القاموس، ونسخة من قاموس لسان العرب يظن (الشيخ) الدسوقي أنها بخطّ المؤلف، وأجزاء من المحكم لابن سيده، والمزهر للسيوطي، وكثير من دواوين الشعر، واقترح لين أن يبدأ بمطالعة المزهر حتى يتنوّق اللغة وحدودها، ثم يقرأ كل يوم نصف كراسة من تاج العروس شرح القاموس، يفهمها ويستفسر عمّا صعب منها ويراجعها على ما عنده من كتب اللغة حتى يستوثق من صحتها.. فإذا بدأ القراءة، فلكلّ منهما نسخة من الكتاب، وُضعت على سطح مائل، يقرآن ويُراجعان ويفهمان إلى أن يتمّ نصف الكراسة فينصرف الشيخ، ثم يأخذ لين في ترجمة ما فهم إلى الإنجليزية فتسير الترجمة مع القراءة، ويستمران على هذا سبعة أعوام لا يكلان ولا يملآن".

قصة اتصاله بالمستشرق لين

في ١٨٤٢ كتب المستشرق لين من لندن إلى صديق له فرنسي مستشرق أيضاً في القاهرة يسمى «فرسنل» Fresnel (كان يتملح باسمه أمام العلماء ويقول: إن اسمي فرسنل على وزن فرزدق) يخبره بعزمه على المجيء لعمل هام، ويطلب إليه أن يبحث له عن شيخ مصري له ذوق في الأدب ومعرفة به، وأن يكون لطيف الحديث حسن العشرة دمث الأخلاق، فاختر له «فرسنل» جملة أشخاص وصفهم له، منهم الدسوقي، وكان «فرسنل» يعرفه ويتصل به، ويعمل معه في شرح شواهد

كتاب «الصحاح» في اللغة، وكتب إلى لين بوصفهم، فوق اختياره على الدسوقي وبعث يطلب إلى «فرسنل» أن يبلغه سلامه ويخبره بمقدمه.

فضل الشيخ الدسوقي في إتمام العمل

"... بعد مضي سبع سنين تدخل الزمن الذي لم يُبقَ شيئاً على حال، فدعت الدواعي الملحة أن يعود لين إلى بلاده ولما يتم العمل، قال الشيخ: «وقضينا معاً حقبة من الدهر ناضرة، في عيشة زاهية زاهرة».

كلف المستشرق لين الشيخ الدسوقي أن يتم العشر الباقي من تاج العروس، يقابله على النسخ الأخرى، ويصحح خطأه، ويفسر غامضه فكان يفعل ذلك ويسلمه إلى مستر ليدر، ليرسله إليه في إنجلترا حتى تم الكتاب.

عاد لين إلى إنجلترا سنة ١٨٤٩ فعكف على العمل بمثل الجد الذي كان منه في مصر، حتى أنفق فيه عشرين عامًا أخرى، ثم بدأ في طبعه سنة ١٨٦٣، وظل يعمل في تصحيح التجارب إلى أن وصل إلى نصف الجزء السادس سنة ١٨٧٦.

رأي أحمد أمين عن علاقة الشيخ الدسوقي بقصة علم الدين

كتب الأستاذ أحمد أمين مقالا ثانيا نشره بعد ذلك كفصل في كتابه فيض الخاطر وذهب فيه الى القول بأنه يظهر له أن علاقة الشيخ الدسوقي بالأستاذ لين أوجت إلى علي باشا مبارك أن يضع قصة طويلة ممتعة ظلمها مؤرخو الأدب العربي عند تاريخ القصة، فأهملوها أو جهلوها، مع أنه أي الأستاذ أحمد أمين يعتقد أنها أول قصة مصرية قيّمة أُلّفت في العهد الحديث، فهي قصة قيمة من حيث موضوعها ومن حيث لغتها، وهي طويلة تقع في نحو ألف وخمسمائة صفحة في أربعة أجزاء، ولم تتم.

و قد عرضنا رأي الأستاذ أحمد أمين في موضع آخر لكننا نود أن ننبه هنا الى ان الشيخ الدسوقي لم يقم بالرحلة التي صورتها قصة علم الدين ، ولا بأية رحلة أخرى .

شعره

كتاب صغير مطبوع [فى هيئة ملزمة] ضمنها ما أبدعه نظماً ونثراً فى مديح الخديو إسماعيل، بعنوان: «مقالة شكرية للحضرة الإسماعيلية، على إنشاء دار الوراق ذات البهجة والطلاقة»، ومن الطريف أن قصيدته فى «دار الوراق» تتضمن مفردات ومصطلحات علمية، أما شعره فيعبر عن ثقافته التقليدية و الدينية والخلقية. وقد حصر الأستاذ أحمد موسى الخطيب قصائده فى كتابه " الشعر فى الدوريات المصرية، دار المأمون ١٩٨٧.

من مديحه للخديو إسماعيل

وهذه بعض أبيات رقيقة للشيخ إبراهيم الدسوقي فى مديح الخديو إسماعيل من قصيدته دار الوراق:

دارُ الوراقِ وهي ابداع فائده	بمحاسن المولى الخديوي شاهده
الشهم إسمعيل من اضحت به	ذكرى سواه فى المعالي خامده
شمس العدالة والتلم والندى	بدر المحاسن والسجايا الماجده
مولى اهالي قطره من عدله	فى جنة يتناوبون محامده
انساهم حالي عدالته بهم	ما مر من جور السنين البائده
بطلن به بطلت اراجيف العدا	وتبوءوا خزى الحياة الباردة
شهم له عزم كسهم نافذ	لو صارع الزمن الابي لوى يده
سيف صقال المجد هذبه كما	قد هذب المجد المؤتل والده
طرب لصوت المجتدي وكانه	شوقا إليه يكاد يحمده
مشكور توفيق لنشر مائتر	وكذا لمن يبغى المحامد خالده
منصور تدبير إذا حساده	مكروا به ترك المكيدة كائده
وشريف إعزاز لحافظ عهدہ ا	و راغب فيما يسد ساعده

يستدرك الخالي مفتشٌ جوده
خيرئِ اعمالٍ بطلعة رايه
قامت على إفراده في جوده
لو حاول الشعراء راتب فضله
او حل راسم جوده ببلاقع
او لامس الصخر الاصم
او مسّ ترب الارض عاد اديمها
لله ناديمه البديع جماله
فلك به شمس الخديو اشرفت
يتعطرون بطيب عرّف ثنائيه
ما منهم إلا اخو فضل وذو كرم
عزت مائز ذا المليك فكلمه
حاكى بتلك الدار جامع جدّه

بلذائد الحالي ليكثر حامده
ورياض فطنته يسوس مقاصده
ايات إحسان تكذب جاحده
لحووا من القول البديع فرائده
لغدت لانواع المحاسن حاشده
تفجرت منه ينابيع الغنى متطارده
تبرا يروق صفاؤه من شاهد
بكواكب مصريّة متعاضده
ما بين انجم دولة متصاعده
متمتعين بمسمع ومُشاهده
وذو باس يعضد رائده
حاولتها عدا غدت متزايدة
فاستحكمت وحوث محاسن زائده

وفاته

توفي الشيخ إبراهيم عبد الغفار الدسوقي عام ١٨٨٣ .

الفصل الخامس : حمزة فتح الله

زعيم المحافظين الذي كان أول من دعا لحقوق المرأة

نبدأ القول بأن الشيخ حمزة فتح الله المصري (١٨٤٩ - ١٩١٨) هو نفسه الشيخ حمزة فتح الله التونسي ، ووالده هو السيد حسين بن محمد شريف ولا تزال الادبيات في مصر وتونس تتقاسمان أبوته حتى إنه يلقب بالمصري تارة، وبالتونسي تارة أخرى، وباللقبين معا في اسمه الكامل، ومن الطريف أن الأستاذ توفيق الحكيم كان يروي اعتزاز والدته التركية بقرابتها لهذا العالم الجليل.

كان الأستاذ حمزة فتح الله هو رجل الدولة أو رجل الحكومة المعاصر لمجد الشيخ محمد عبده (١٨٤٩ - ١٩٠٥)، إذ أنه كان هو المسئول الثابت أو الموظف الكبير في وزارة المعارف في عهد اللمعان الساطع والحضور الطاغي للشيخ محمد عبده في الحياة العامة و القضاء والأزهر والإفتاء ، وقد تفاوتت توجهاتهما بتفاوت منظورهما للحياة ، فعلى حين اتخذ الشيخ محمد عبده قراره بالانضمام للثورة العرابية مؤخرا بعد ما كان معارضا لها فإن الشيخ حمزة فتح الله انحاز منذ حادثة ضرب مدافع الانجليز لمدينة الإسكندرية إلى الخديو توفيق، وأصبح بمثابة المتحدث باسم حكومته، وكلف بإصدار جريدة تدافع عن موقف الخديو.. وهكذا.

وجوه التماثل مع الشيخ محمد عبده

مع هذا التمايز كله فإن الشيخ حمزة فتح الله يشترك مع الأستاذ الامام محمد عبده في ثلاثة أمور:

- أولها وأهمها ، أنهما كانا داعيين للإصلاح الاجتماعي وخصوصا فيما يتعلق بتعليم المرأة .
- وثانيهما ، أنهما قضيا بعضا من حياتهما في تونس، وقد كان السبب في حالة الشيخ حمزة فتح الله أنه كان تونسي الأصل، وأنه عاد للعمل في

تونس بعد أن أتم تعليمه في الأزهر وبقي مشغولاً بالصحافة في تونس ٨ سنوات حتى دخلها الفرنسيون فتركها إلى مصر أما السبب في حالة الشيخ محمد عبده فكان معرفياً وحضارياً بعد أن أقام في باريس و في بيروت وبلاد الشام عشية نفيه بعد الثورة العرابية .

- وثالث الأمور وأهونها ، أنهما ولدا في نفس العام على أرجح الأقوال، ودرسا في نفس الظروف تقريبا وعلى نفس الأساتذة و في نفس الجو العلمي .

نشأته وشبابه

ولد الشيخ حمزة فتح الله في الإسكندرية سنة ١٨٤٩ من أب تونسي، ونشأ بها وتلقى تعليماً دينياً وحفظ القرآن الكريم وانتظم في الدراسة في جامع إبراهيم باشا الذي كان بمثابة معهد ديني لا يقل في مستوى جودة تدريس العلم ومنهجه فيه عن مستوى الأزهر، ثم أكمل دراسته بالأزهر الشريف.

وقد عرف عن الشيخ حمزة فتح الله في شبابه أنه كان يكثر من قراءة الأدب واللغة، ونظم الشعر، وتحرير الرسائل، وحفظ الغريب من الألفاظ العربية.

عاد الشيخ حمزة فتح الله إلى تونس مؤهلاً ، و اختير (وكان لا يزال في منتصف العقد الثالث من عمره) محرراً في إحدى الصحف التونسية وهي جريدة «الرائد التونسي»، ومكث كما ذكرنا يمارس الكتابة السياسية في تونس حوالي ثماني سنوات قبل أن يدهمها الاحتلال الفرنسي (عام ١٨٨١).

عودته الى مصر ووقوفه مع الخديو

ترك الأستاذ حمزة فتح الله تونس عقب دخول الفرنسيين إليها كما ذكرنا وعاد إلى مصر قبيل الثورة العرابية، وانضم إلى الحزب الموالي للخديو توفيق، وكتب وخطب في تأييده، وعهد إليه بعد حادثة ضرب الإسكندرية بإصدار صحيفة تكون

لسان حال الخديو، وتجذب الجماهير المتعلمة وغير المتعلمة إلى صف الخديو. و
حرر جريدة «البرهان» ثم «الاعتدال»،

وصوله لأعلى مناصب وزارة المعارف

عين الأستاذ حمزة فتح الله في وزارة المعارف المصرية وعمل بها قرابة ثلاثين
عاما منتقلا بين وظائف التفتيش والتدريس حتى تولى منصب المفتش الأول للغة
العربية (١٩١٠)، وهو أعلى المناصب في ذلك الحين، وقد مارس من خلال وظيفته
ما كان يؤمن به من ضرورة العمل على تخليص اللغة العربية مما كان يصفه بأنه
أدران العامية (!!)، والألفاظ الدخيلة، وفساد التراكيب، وعجمة الأساليب، فأخذ يرشد
المعلمين إلى الصواب وإلى ما يصادفه من الخطأ الشائع .

أول أساتذة الادب الرسميين في المدارس العليا

عهد إلى الأستاذ حمزة فتح الله بالتدريس في مدرستين من المدارس العليا هما
دار العلوم ، والألسن (١٩١٠)، بالإضافة الى مسؤوليته الأولى عن تعليم اللغة
العربية في وزارة المعارف ، وقام بهذه المهمة خير قيام فتمكن من وضع المناهج و
انتقاء المختارات والنصوص و تقديم صورة لما عرف بعد ذلك على انه تاريخ الادب
، فكان بهذا الأداء نموذجا للأستاذ المتمكن من اللغة والأدب معًا، حتى إنه في هذه
الفترة وصف بأنه أحيًا بتدريسه وتأليفه ما اندثر من آثار السالفين كالجاحظ، والمبرد،
والقالي، والمرتضي. ولما أحيل إلى المعاش استمر مشغلا بالعلم حتى بعد أن كف
بصره.

دوره في تطوير الدراسات و المعاجم المتاحة في المكتبة العربية

كان الإسهام الأكبر لحمزة فتح الله هو نهجه المكتمل أو ما عرف في وقته بأنه
طريقته في وضع مناهج اللغة العربية في التعليم العام، و كان بلغتنا الاصطلاحية
المعاصرة (في التريية) سباقا إلى وضع المعايير ، وتحديد الآفاق أو الميادين التي
تتطرق إليها هذه المناهج على نحو ما نعرف الآن في وضع المقررات وتصميم

المناهج ووضع المعايير، وقد مارس هذه المهمة باقتدار وذكاء مستعينًا بما أُتيح له من التفتح على تجارب الآخرين، وقد ظل أثره في مناهج اللغة العربية مستمرًا حتى جاء عهد المعاهد العليا ثم الجامعة فأثرت هذه المدارس العليا و الكليات أن تنقل عنه بلا أي حرج كثيرًا من طرقه الخاصة في تدريس اللغة العربية.

فكرة تطوير المعاجم المتاحة

كان الأستاذ حمزة فتح الله سباقًا إلى تطوير المعاجم المتاحة في المكتبة العربية، وقد قام من خلال منصبه في وزارة المعارف بمراجعة وتحقيق المعجم المشهور والمعروف منذ ذلك العهد «مختار الصحاح»، واشتهرت (إلى حد كبير جدا) هذه الطبعة من طبعات مختار الصحاح حيث كانت وزارة المعارف توزعها على طلابها، وبالإضافة إلى هذا فقد تولى تصحيح معجم آخر هو المصباح المنير للفيومي.

الصورة الذهنية المنطبعة عنه

عرف الأستاذ حمزة فتح الله طيلة حياته على أنه عالم لغوي جليل، ومفكر وأديب ، كما كان مشهورا بغيرته على اللغة لدرجة تصويب الخطأ بقلمه و بنفسه .

وصفه معاصروه بأنه كان فكه المحاضرة، صحيح العبارة، فصيح اللغة، وكان ذا ذاكرة مدهشة، يتميز بما نسميه القدرة على الاستدعاء فلا تحدث أمامه حادثة إلا روي فيها شعرا أو مثلا أو قصة.

ووصف الأستاذ حمزة فتح الله أيضا بأنه كان حليما رحيفا، تقيا ورعا، لا تأخذه في الله لومة لائم، صالحا مهذبا، يميل إلى الصالحين من المعلمين، ويحارب مَنْ يشاع عنهم التهاون بشعائر الدين، وربما سعى في فصلهم من عملهم، فقد كان حريصا على إحاطة النشء بسياج من الفضيلة.

كان أقرب للأصولية

كان الأستاذ حمزة فتح الله شخصية علمية محافظة.. وكان في محافظته أقرب إلى الرجعية والأصولية، كما كان في مسلكه السياسي كذلك، حتى إنه كان من أبرز أعداء الثورة العرابية، ومع هذا فان علمه واجتهاده وإخلاصه للعلم والفكر رفع مكانته إلى ما لم يحظ به غيره .

كان الأستاذ حمزة فتح الله عضوًا في كل الهيئات العلمية والمجامع اللغوية الأهلية التي نشأت قبل تأسيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

تعصبه الجاد للعربية وللعروبة

كانت لحمزة فتح الله عناية معروفة بالبحث في الألفاظ غير العربية في القرآن الكريم، أما عنايته بأفضلية العرب والعروبة، فقد تبذرت في بحثه عما للعرب من الفصائل والمعارف، سواء كان هذا في عصر الجاهلية أم في الإسلام.

كان الأستاذ حمزة فتح الله متعصبا أشد العصبية للعرب والعربية، و كان يرى أن «الله قد خصهما بكل مزية، وأن جميع ما يتجدد من أنواع المدنية الحديثة قد سبق إليه العرب، وأن لاسمه مرادفا في لغتهم (!!)»

تأثره بعبد الله فكري باشا

ظهرت هذه الفكرة بوضوح في كتابه الشهير «المواهب الفتحية في علوم اللغة العربية»، وهو الكتاب الذي يشير إليه الكتاب والمتحدثون عنه اختصارا بأنه «مواهب»، حتى إنه إذا أطلق لفظ المواهب على كتاب عرف أن المقصود هو كتاب «المواهب الفتحية» .

وفيما يبدو لنا فقد كان الأستاذ حمزة فتح الله في تسميته لكتابه ينهج نهج عبد الله فكري باشا في كتابه " الفوائد الفكرية " وذلك مع اختلاف نافذتيهما المعرفية .

دعوته لتحرير المرأة

يرى بعض المؤرخين أن الأستاذ حمزة فتح الله كان أول داعية إلى إعطاء المرأة حقوقاً مساوية لحقوق الرجل، ولا شك في أن كتابه «باكورة الكلام على حقوق النساء في الإسلام» من الكتابات المبكرة في هذا الموضوع.

رأي الأستاذ أبو القاسم كرو

وقد حقق الأستاذ أبو القاسم كرو تاريخ دوره الاجتماعي من حيث كان رائدًا تونسيًا في تحرير المرأة بكتابه هذا، وذكر أنه كان أسبق من قاسم أمين بعشر سنوات من حيث الكتابة، وزهاء ثماني سنوات من حيث الطبع، فهو في الأصل محاضرة مطولة ألقاها باسم مصر في مؤتمر المستشرقين باستكهولم عام ١٨٨٩، وقد تلاه الجزائري محمد بن مصطفى الخوجة بكتابه «الاكتراث في حقوق الإناث»، وقد طبع سنة ١٨٩٥، وتمت ترجمته إلى الفرنسية.

لقاءاته بالمستشرقين في مؤتمراتهم

في أثناء عمل الأستاذ حمزة فتح الله في وزارة المعارف ندبته الحكومة مرتين لتمثيل مصر في مؤتمرات المستشرقين، كانت الأولى إلى مؤتمر فيينا عام ١٨٨٦، وكانت الثانية إلى مؤتمر استوكهولم عام ١٨٨٩، وقد رافق فيها عبد الله فكري باشا وابنه محمد أمين فكري باشا في رحلتهم الشهيرة التي سجلها محمد أمين فكري في كتابه «إرشاد الألبا إلى محاسن أوروبا»،

شعره ونثره

يرى الدكتور ضاحي عبد الباقي أن شعر الأستاذ حمزة فتح الله كان بدوي الطابع من حيث ألفاظه ومعانيه، وتراكيبه، وأساليبه، وتشبيهاته، واستعاراته، «ولم نر له شعرا مدونا إلا قصيدته البائية التي اختتم بها مؤتمر العلوم الشرقية (المستشرقين) المنعقد باستكهولم (١٨٨٩).

أما نثر حمزة فتح الله فقد كان لا يلتزم فيه طريقة واحدة، بل تارة تكون سهلة
يكثُر فيها السجع، وإن لم يلتزم به غالباً، وأونة تكون ضخمة الألفاظ غريبتهَا، عليها
طابع التكلف، وأكثر ما كان ذلك في توقيعاته وهو فن أدبي اندثر مع الزمن .

أثاره

- «مراجعة وتحقيق مختار الصحاح» في طبعته التي لا تزال توزع.
- «تصحيح المصباح المنير للفيومي».
- «المواهب الفتحية في علوم اللغة العربية».(جزءان)،
- «باكورة الكلام عن حقوق المرأة في الإسلام».
- «بحث عما للعرب جاهلية وإسلاماً من الفضائل والمعارف».
- «التحفة السننية في التواريخ العربية».
- «العقود الدرية في العقائد التوحيدية»
- وقد قررتها وزارة المعارف على تلاميذ المدارس الابتدائية.
- رسالة في الكلمات غير العربية الواقعة في القرآن الكريم
طبع بولاق ١٩٠٢ (في ١٧ صفحة)
- رسالة في الترجمة والتعريب .

قصائده الكبرى

- قصيدة دالية ختم بها مؤتمر المجمع العلمي الشرقي ببيينا - مطبوعة في
دار الكتب المصرية، في كتيب ، نوفمبر ١٨٨٦ .
- قصيدة رائية ودع فيها فيينا وأهلها ١٨٨٦ .
- قصيدة بائية ألقاها في ختام مؤتمر استكهولم عام ١٨٨٩، وهي في مدح
ملك السويد والنرويج (تتجاوز مائة وخمسة عشر بيتاً).

مختارات من قصيدته " حمد السرى "

كشَّافٍ معضلةٍ مُغرى بمكرمةٍ شهيمٍ أخي نَهَمٍ في المجد رَغَابِ
ونضَّرَ اللهُ وجهَ العيسِ كم حملتُ للمجد في البِيدِ من جابٍ ومُجْتَابِ

دارت رَحَى المجد كانوا خيرَ أقطاب
أن المها خُلقت في زيِّ أعراب
فأعجب له كيف أغراني وأغرى بي
وهو الذي في شرك الحب ألقى بي

وأشهى الهوى وصلُّ يكون على صَدِّ
وليس لِحُرِّ عن مرادي من بُدِّ
مَضائي بفضل الله في بُغْيَةِ المجد
إذا ما نَبَا عن صَوْبِهِ المرهفُ الهندي
وما كُفُوها مني وُجودٌ ولا وَجدي
بهذي الدُّنَا يوماً لَهْمْتُ بها وَحدي

إنَّ الأعرابِ هم كلُّ الكرام وإن
أما درى من لَحاني في محبَّتِهِم
أغرى عدولي وأغراني بنظرته
وهو الذي إن كتمتُ الحب باح به

مختارات من قصيدته طلابُ الغلا

أحْبَلِي اللقا يا عَزَّ أُوْبَةَ ذِي بُعْدِ
وإنَّ اغترابي عنك ليس بضائري
وقد عرفتُ قومي الألى تعرفيَنَّهُم
وعزمي فيها ليس يَنْبُو حسامه
وُجودي لها وقفٌ كَوَجدي بَنَيْلها
ولو لم يَهْمُ قبلي بها ذو فُتْوَةٍ

وفاته

توفي الأستاذ حمزة فتح الله سنة ١٩١٨ .

الفصل السادس : الشيخ أحمد الحملاوي

مداح النبي الذي سقانا معمار اللغة العربية وزخارفها

الشيخ أحمد الحملاوي (١٨٥٦ - ١٩٣٢) واحد من عباقرة جيله الذين لمعوا في آخر القرن التاسع عشر والثالث الأول من القرن العشرين ، وهو لغوي متمكن ، و تربوي مرموق ، ومفكر وطني ، و عالم بالشريعة والأدب وهو قبل ذلك كله خطيب مفوه ، و شاعر موهوب غزير الإنتاج لكن شهرته الطاغية تبلورت بفضل كتابيه ذائعي الصيت «شذا العرف في فن الصرف» و«زهر الربيع في المعاني والبيان والبديع».. وهما الكتابان اللذان لا يزالان بمثابة المرجع الأول في ميدانيهما.

أول من نال العالمية بعد دار العلوم

وفيما قبل هذا فقد كان هذا العالم الجليل أول من جمع بين شهادتين عظيمتي القدر : إجازة دار العلوم ثم عالمية الأزهر الشريف بعدها بعقد من الزمان .

وعلى نحو ما اختارته دار العلوم للتدريس بها عقب تخرجه فإن إدارة الأزهر سرعان ما اختارته أيضا عقب حصوله على العالمية لتدريس التاريخ والخطابة والرياضيات لطلابها. وأسندت إليه بالإضافة إلى أستاذيته في الأزهر نظارة مدرسة عثمان باشا ماهر، وهي مدرسة نموذجية ذات طبيعة خاصة كانت مع المدرسة الناصرية بمثابة أهم مدرستين وطنيتين ، وكانت لناظرها مكانة فكرية واجتماعية وبروتوكولية متقدمة وقد قضى الشيخ أحمد الحملاوي في نظارة هذه المدرسة ربع قرن حفظت له مكانته بين كبار التربويين المصريين .

قدرته الباهرة كمؤلف

ومن الإنصاف أن نبدأ حديثنا عن هذا الأستاذ الجليل بالإشادة بمنهجه في التأليف ، وهي بداية متشعبة بالعاطفة المعبرة عن الامتنان ، ولا أظنني أنا وحدي الذي يشعر

بالامتنان العميق للأستاذ الشيخ أحمد الحملوي على ما أتاحه لنا من علم منظم مرتب محبوب مفهرس مدقق مُنتقى في كتابيه العظيمين «شذا العرف في فن الصرف» و«زهر الربيع في المعاني والبيان والبديع».. فبفضل هذين العاملين العظيمين اللذين طبعا عشرات المرات أصبحت علوم البلاغة والصرف في ذاكرتنا وعلى مكاتبنا وفي مكتبتنا بعبارة دقيقة موجزة حافلة بالمعاني والإيحاءات والفهم، قادرة على الفصل والإبانة دون الدخول في دوائر التعقيب والتفريع والتعليق والاستطراد والاستثناء والتحشية والتقدير.

و في هذين الكتابين تتبدى قدرة اللغة العربية نفسها على الإبانة وعلى التأليف العلمي المدرسي المعياري المقنن الواضح، الذي لا يحتمل الخطأ ولا اللبس ولا تعدد التفسيرات ولا الخلط في المدلولات.

المستوى التربوي الرائع الذي أوصل علوم اللغة اليه

وقد وصلت كتابة علوم اللغة العربية على يد الشيخ الحملوي إلى هذا المستوى بفضل ممارساته الدؤوبة المستهدفة لتقريب قواعد العلم لطلابه بكل ما تنتجه الممارسة الدؤوبة من التكرار والتجويد وإعادة التجويد وبفضل عمله على تقريب المعنى بالصورة الواضحة ثم بأفضل صورة أو أقدر صورة على تجسيد المعنى بكل وضوح وتميز.

وفضلاً عن هذا، فقد تميز منهج الأستاذ الحملوي في التأليف بوضوح الفكرة إلى حد رياضي مذهل، بحيث تبدو القواعد التي يعرضها ويستعرضها وكأنها قواعد مطلقة فولاذية غير قابلة للنقد أو التحوير أو إعادة الصياغة أو الاستثناء، وإنما هي قواعد صارمة واضحة التفسير غير محتملة للتأويل.

أما التبويب الذي أخذ به الشيخ الحملوي في عرض العلوم اللغوية في كتبه، فقد قام على أساس تقليدي غير مخالف لأصول العلم على نحو ما عرّفها الأقدمون، لكنه في الوقت ذاته كان حفيًا بإظهار الفرعيات على نحو يكفل هيكله العلم هيكله هرمية

مترتبة فلا تتوالى المسائل العلمية بلا رابط يجمعها، بل هي تتوالى كالعنقود الذي تنفرع فروعها من بعضها البعض بوضوح تام.

وإذا كان الأستاذ حفني ناصف قد ألف في علوم اللغة العربية الكتب الأكثر تداولاً في جيله في التعليم العام والخاص على حد سواء، فإن الأستاذ الحملاوي قد مكّن لنفسه من علوم الصرف وعلوم البلاغة على نحو جعل اسمه كمؤلف يصل إلى مكانة لم تصلها أسماء المؤلفين المتعاقبين لمناهج تاريخ الأدب العربي أو مناهج النحو العربي التقليدية.

ذُيوع مؤلفاته

ومع أن الشيخ الحملاوي يعرف الآن ويذكر على أنه أحد رواد علوم اللغة في القرن التاسع عشر، فإن شهرته الأكثر تردداً و استدعاءً ، والتي تأتي بمجرد ذكر اسمه لاتزال تتركز على أنه مؤلف كتاب علم الصرف الشهير «شذا العرف في فن الصرف».. و كتاب «زهر الربيع» ، والكتابان بلا جدال ، وكما قدمنا ، هما من أساسيات كل مكتبة تعنى بالدراسات العربية.

وقد ظل جهد الشيخ أحمد الحملاوي يتمتع بالمرجعية وأعلى أرقام المبيعات (على حسب ما يقول خبراء الكتب ونشرها) على مدى أجيال تعاقبت فيها أسماء أجيال من مؤلفي الكتب المدرسية المواكبة لمؤلفاته، فقد عاصر كتب حفني ناصف ثم كتب أحمد العوامري وأحمد الاسكندري علي الجارم وطه حسين ومصطفى أمين ثم كتب الأساتذة محمد مهدي علام، وعلي النجدي ناصف ومحمد خلف الله، وأحمد الحوفي، ومحمد أحمد برانق ثم كتب الأساتذة يوسف الحمادي، ومحمد شفيق عطا، وبقي كتاباه الشهيران في كل هذه الفترات دليلاً على التأليف المتميز القادر على الخلود.

ومما يجدر ذكره أن كتابه شذا الصرف بدأت طباعته في ١٨٩٤ (أي أن عمره ١٢٧ عاماً)، وأن كتابه زهر الربيع بدأت طباعته في ١٩٠٩.

آية من آيات التفوق

أما الأستاذ أحمد الحملاوي نفسه فقد كان في حياته العلمية والمدرسية آية من آيات التفوق، كان قد بدأ حياته معلمًا ثم انصرف إلى العمل بالمحاماة والقضاء الشرعي، ثم حصل على الشهادة العالمية، ثم عاد إلى ميدان التربية من خلال موقع من أهم مواقع التأثير في تربية الأجيال وهو عمادته لمدرسة عثمان ماهر، تلك المدرسة النموذجية الشهيرة، التي تولاها ربيع قرن من الزمان، محققًا فيها من الصيت والمجد ما وازى به مجد أمين سامي باشا ناظر المدرسة الناصرية المعاصر له.

وفي هاتين المدرستين تعلم كل رواد الأجيال الذين سطع نجمهم في مصر طيلة نصف قرن من الزمان.

شاعريته

كان الشيخ أحمد الحملاوي شاعرًا متميز الطابع، وقد صرف اهتماماته وقريحته في المقام الأول إلى المديح النبوي، كما ترك آثارًا شعرية في موضوعات تقليدية كثيرة، كان أهمها أن ينظم القصيد في افتتاح مولد الإمام الشافعي وختامه في كل عام.. وقد أضاف لقصائده عن الإمام الشافعي قصيدة جميلة عن الشيخ الدردير عالم المالكية الشهير صاحب شرح الدردير على متن الإمام خليل، الذي هو أشهر متون الفقه على المذهب المالكي.

طبع الجزء الأول من ديوان شعر الشيخ أحمد الحملاوي في أول يونيو سنة ١٩٥٧، بمطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بالقاهرة.

نشأته

ولد الشيخ أحمد الحملاوي واسمه بالكامل أحمد بن محمد بن أحمد الحملاوي سنة ١٨٥٦، وهو ينتمي إلى السلالة العلوية، أما اسمه فينسب إلى منية حمل من قرى بلبيس بمحافظة الشرقية بمصر.

نشأ الشيخ أحمد الحملاوي وتربى في بيت علم، وحفظ القرآن الكريم، وقرأ وتلقى العلوم الشرعية والأدبية، ثم التحق بمدرسة دار العلوم وتخرج فيها ١٨٨٨ في الدفعة التالية لدفعة صديقه و زميله الأستاذ حسن توفيق العدل ١٨٦٢ - ١٩٠٤ الذي تخرج بمفرده في ١٨٨٧ .

وظائفه

عين الشيخ أحمد الحملاوي عقب تخرجه مدرساً بالمدارس الابتدائية بوزارة المعارف. وتصادف أن أعلنت مدرسة دار العلوم حاجتها إلى مدرسين للعلوم العربية، وعقدت لذلك امتحان مسابقة، فكان الحملاوي من أوائل المبرزين فيه، فنقل مدرسا في دار العلوم.

العالمية و المحاماة والمجد

في سنة ١٨٩٧ وقبل أن يمضي عشر سنوات في التدريس في دار العلوم ، ترك الشيخ أحمد الحملاوي ميدان التدريس إلى الاشتغال بالمحاماة في المحاكم الشرعية، واستعد لنيل شهادة العالمية من الأزهر، ونالها، وكان بهذا أول من جمع بين العالمية الأزهر الشريف وإجازة دار العلوم. وسرعان ما اختارته إدارة الأزهر في ذلك الوقت لتدريس التاريخ والخطابة والرياضيات لطلابها.

وفي سنة ١٩٠٢ وصل ل قمة مجده الوظيفي، فقد أسندت إليه بالإضافة إلى عمله في الأزهر نظارة مدرسة عثمان باشا ماهر، وهي ، كما أشرنا ، مدرسة نموذجية كانت مع المدرسة الناصرية بمثابة مصنعي الرجال، وقد قضى الشيخ أحمد الحملاوي في نظارة هذه المدرسة ربع قرن، حتى ترك العمل سنة ١٩٢٨، بعد أن جاوز الستين من عمره.

وصف الأستاذ مصطفى السقا لشخصيته

رزق الشيخ أحمد الحملاوي تلميذا وفيما نابغا هو الأستاذ مصطفى السقا أستاذ الأدب العربي المعروف الذي كتب سيرته على نحو ممتع ، وقد قدم هذا التلميذ الوفي

والأستاذ الكبير وصفا جميلا لأستاذه الشيخ الحملاوي، فذكر أنه: «كان ذا بسطة في الجسم، ووجاهة ووسامة في الهيئة والوجه، مع حسن ذوق واعتناء بالزّي، فكانت رؤيته تملأ العين جلاله، والنفس مهابة، ومنح قوّة في الصوت واللسان، فكان حسن الإعراب والبيان، يحرص على العربية دائماً، لا يشوب كلامه شائبة من عامية أو لكنة، أو عيّ أو حصر، وإنما ينساب حديثه في النفس انسياب النهر المتدفق في رزانة ووقار، وكان حسن العرض للكلام، جيّد الإنشاد للشعر، لا يملّ حديثه وإن طال، ولا يسأم إنشاده وإن بلغت قصائده المئتين من الأبيات في بعض الأحيان».

«وكانت فصاحة الشيخ، ونصاعة بيانه، وجودة إلقائه، وحسن أدائه، وتام شرحه للفكرة تعرض له، يجعلها نقشاً ثابتاً في نفوس سامعيه، فلا يحتاج الطالب إلى استنكار أو معاودة درس، وحسبه أن يتخيل الشيخ وهو يلقي بيانه، فتمرّ عليه صور الكلام التي تجدد الموضوع، وتحببه في ذاكرته، وتغنيه عن معاودة درسه، أو معاودة حفظه».

كذلك روى الأستاذ مصطفى السقا أن الشيخ الحملاوي كان أستاذاً موهوباً متبوعاً ذا أثر كبير في تلاميذه ومنّ حرصوا على الأخذ عنه، والتعلق بأسبابه وأدابه، وأنه كان بين العلماء والأدباء ورجال القضاء والمحاماة، موضع الثقة وحسن التقدير، ومفزع الرأي والمشورة، ومحلّ السرّ والتجوى.

حب الأدب قاده إلى حب اللغة

كان الشيخ الحملاوي فيما نفهمه من نصوصه ونصوص معاصريه راوية مقتدرا وكان يحفظ الكثير جداً من النصوص، مع إلمام تام بتاريخ النصوص ودلالاتها.. وقد قاده حب الأدب إلى حب اللغة.

وقد سجل الأستاذ مصطفى السقا رأيه الذكي القائل بأن الأستاذ الحملاوي كان معجباً بابن هشام الأنصاري، وهو واحد من أبرز النحاة المصريين في عصور نهضة العلم وكان الحملاوي معجباً بما قدمه ابن هشام في شرحه لألفية ابن مالك وهو الشرح المعروف الشائع المسمى «أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك».

وقد عرف الحملاوي بحفظ مسائل ابن هشام، وجعله أساساً لدراساته النحوية والصرفية، وتحقيقاته اللغوية، التي كان ينثرها بين يدي تلاميذه في دروسه ومحاضراته.

الأستاذ السقا يراه أبرز تلاميذ ابن هشام

ويرى الأستاذ السقا أن الأستاذ الحملاوي التقط من ابن هشام أعلى درره التي ألف منها كتابه شذا العرف في فن الصرف، مع ما أضاف إليها من شذرات أخرى، من مفصل الزمخشري، ومن شافية ابن الحاجب، وشرحها لرضي الدين الأسترباذي، وغيره من محققي الأعاجم المتأخرين، الذين عنوا بالدراسات الصرفية، وأشبعوها تأليفاً وتوضيحاً وتصنيفاً: " وقد أسبغ الشيخ الحملاوي على هذه المادة التي أحسن اختيارها من كتب العلماء، كثيراً من ذوقه وخبرته بأساليب التعليم والتصنيف، فتصرف فيها توضيحاً وتهذيباً، وتنسيقاً وتبويباً، حتى جاء هذا الكتاب محكم الطريقة، واضح الأسلوب، جامعاً للعناصر الضرورية التي لا بد منها لدارسي اللغة وفنونها، ممثلاً ما وصلت إليه الثقافة اللغوية في مدارس البصرة و الكوفة و بغداد و الفسطاط و الأندلس، ثم ما انتهت إليه أخيراً على يد ابن مالك و أبي حيان وتلاميذهما من رجال المدرسة النحوية الأخيرة، التي لا تزال آثارها قوية باقية".

متابعته للإنتاج الفكري

كان الشيخ الحملاوي من الأساتذة الذين يعيشون أجواء العلم وتطوراتها وما يتاح له من الإضاءات التي تكشف عنها الطبقات الجديدة أو التحقيقات المنجزة، وكان لهذا السبب معنيًا بمتبع ما يطبع من الكتب الحديثة التي يؤلفها معاصروه، كحفني بك ناصف، ومحمد بك دياب، ونظرائهما من رجال المعارف، وكان ينقدها ويسجل أصحابها في بعض مآخذها.

وظل الشيخ الحملاوي مشغولاً بقراءة ما ينشر من الكتب القديمة، ويستفيد منها فوائد لا تلبث أن تصبح موضوع حديثه مع تلاميذه.

وقد ذكر الأستاذ السقا أن أستاذه الحملوي عندما علم بنشر كتاب الهمع للسيوطي لأول مرة سنة (١٩٠٩) بعث في شراء نسخة منه، ثم جاء في ثاني يوم يقول لطلابه: «قرأت أمس في كتاب الهمع للسيوطي أن من اللغات في لفظة «اللآئي» من الأسماء الموصولة: «اللآ» بالقصر، التي شاعت بين العامة، فينطقها بعضهم باللام المشددة مفتوحة، وبعضهم بكسرها وقلب الألف ياء «أللي» وكنا نظنها عامية، فإذا هي من صميم اللغة في بعض أحوالها.

شعره الإيماني ومدائحه النبوية

للشيخ أحمد الحملوي قصائد عديدة في الالتجاء إلى الله وطلب المغفرة، وقد ملك حبّ النبي ﷺ عليه نفسه، فقال في مدحه قصائد كثيرة مطوّلة تبلغ المئين، عارض في أكثرها القدماء من أمثال كعب بن زهير و البوصيري.

وبالإضافة إلى قصائد المديح النبوي، فإن للحملوي قصائد كثيرة في مديح آل بيت النبي ﷺ، وخاصة أبناء السيدة فاطمة الزهراء الذين يتصل نسبه بنسبهم.

يا خير من سجدت لله جبهته

وفي قصيدة ميمية له في مدح الرسول عليه الصلاة والسلام نراه يصور النور النبوي الذي انبعث في عصر الظلام :

وقام للحق إجلالا على قدم	يا خير من سجدت لله جبهته
فانشق صبح الهدى في الحل والحرم	ومن اضاء الدياجي نور غرته
بمنتهى كرم الاخلاق والشيم	وخير من لجميع الخلق ارسله
مثل السوائم من بهم ومن نعم	اتيت والناس في غي وفي عمه

نور النبي على العوالم أسفرا

ومن قصيدة أخرى مشهورة للحملوي في مدح النبي عليه الصلاة والسلام نرى
الحملوي وهو يصور البعثة المحمدية فيجيد تصوير أثرها الباقي في تحرير الانسان
من الكفر والافتراء :

نور النبي على العوالم اسفرا	فابان اسباب الرشاد واطهرا
وبحسن طلعتة الشريفة قد بدا	نور السعادة والسيادة مقمرا
وشريعة الإسلام راق رواؤها	والكفر اصبح جيشه متقهقرا
لما اتى خير الانام بدينه	وانحل ما عقد الغواة من الفرى
هاموا جميعا بالنبي ودينه	والكفر بعد العرف صار منكرا

فهمه للارتقاء البشري

ويمضي الحملوي في هذه القصيدة الرائقة ليصور أثر بعثة النبي محمد عليه
الصلاة والسلام في تحقيق التطور الفكري والإنساني في البيئة التي حظيت ببيعة
الرسول، ونستطيع أن نرى في تصويره ملامح ذكية في فهم الارتقاء البشري
المرتبط بالرسالة المحمدية:

واستبشروا بالمصطفى وبنوره	والكل صاح مهلا ومكبرا
والامن بعد الخوف اصبح ضاربا	اطنابه بين المهامه والقرى
والخصب قد عم الانام فوجه	قد كان ميمون النقيبة انضرا

البشارات النبوية

كان الحملوي في مدائحه يكرر ما شاع الحديث عنه في تلك المدائح من البشارات التي صاحبت مولد النبي ﷺ، من قبيل تصدع إيوان كسرى وخمود نار الفرس وهي إشارات شائعة في تراث ذلك الجيل ممن نظموا القصائد والأشعار في مديح النبي ﷺ.

كم نية ظهرت لمولده وكم	خرت إلى الأذقان اصنام الورى
وارتج إيوان لكسرى رجّة	جعلته من بعد الثّبات مكسرا
نيرانهم خمدت وزال لهيبها	وغدت هباء في القضاء مبعثرا
وغدت ملوك الارض تخشى باسة	واخاف كسرى ما راه وقيصرا
وتخوف الرهبان يوم ولاده	إذ عزهم بعد التقدم ادبرا
لله ليلة مولد فيها بدا	من كان في نفس العوالم مضمرا
فالكون ما ست بالهنا اعطافه	فرحا واصبح بالعبير معطرا
هذا النبي المصطفى من معشر	كانوا الافق المجد بدرا نيرا
سادوا الانام فكل فرد دونهم في	المكرمات ولو رقى اعلى الذرا

الإسراء والمعراج

وينتقل الأستاذ الشيخ الحملوي إلى الحديث الروحاني الجميل عن معجزة الإسراء والمعراج بروح مفعمة بالإيمان بالله جل جلاله وقدرته ، وحب النبي ﷺ.

سبحان من اسرى به ليلا إلى	حرم بارض الشام ظل مطهرا
صلى بكل الانبياء جماعة	إن الوفود يقدمون الاكبرا
ثم ارتقى نحو السماء لمستوى	فيه رأى المجد الاثيل موفرا

فحباه مولاه باكبر نعمة
ورأى الإله جماله وجلاله
وعليه قد فرض الصلاة وبعد ذا
قد كان هذا السر اكبر اية
وامده كرما بانواع القرى
اما سواه فقد اجيب بلن ترى
اوى الفراش كانه ما قد سرى
كانت لخير الخلق اكبر مظهرا

معجزات النبي عليه الصلاة والسلام

يتناول الشيخ الحملوي الحديث عن المعجزات التي رويت عن النبي ﷺ تناولاً مباشراً يعيد فيه صياغة ما شاع من أمر هذه المعجزات، يحدوه في روايتها ونظمه ما امتلأت به نفسه من حب الرسول ﷺ والتغني بسيرته العطرة، بعيداً عن الجدل والمناقشات وهو يشير إلى السحابة التي أظلت النبي ﷺ وإلى حادثة الغار وغيرها مما تحفل به أشعار من سبقوه إلى مدح النبي ﷺ :

كم معجزات افحمت اعداءه
في الغار قد نسجت عليه عناكب
قد ظللته في الهجير سحابة
والضرب سلم والبعير قد اشتكى
وبه استجارت في الفلاة غزالة
واشار للاشجار جاءت سجدا
والماء فاض زلاله من كفه
وانشق بدر في السماء وقدر
واجل معجزة هي القران إذ
خرّوا إلى الانقان طرا سجدا
هذا النبي له الفخار فدينه
نسخ الشرائع قبله فجميعها
حاشى علاها ان يعد ويحصرا
والورق عشش والعدو تحيرا
والجزع حن لبعده وتاترا
تعبا وجوعا منهما الجسم انبرى
فاجاره واجارها مما جرى
ودنا له العرجون شوقا مثمرا
فسقى المئين بل الالوف فاكثر
الناس في شرق وغرب نيرا
بقيت مدى الازمان لن تتغيرا
لما راوه معجزا ومحيرا
لمكارم الاخلاق جاء مقورا
بشريعة الإسلام صار مدهورا

يا سيد الرسل الكرام وخير من
امن علينا بالشفاعة في غد
يا رب ممتنا بروية نوره
واجعل ختام المسلمين جميعهم
وادم صلاتك والسلام على الذي
ركب البراق وخير من وطىء الثرى
واجعل لنا عزا يدوم ومظهرا
والطف بنا في كل امر قدرا
مسكا يفوح شذا شذاه وعنبرا
ختم الرسالة منذرا ومبشرا

أشعاره السنوية في الامام الشافعي

كما ذكرنا من قبل ، فقد خصّ الشيخ الحملوي الإمام الشافعي من بين أئمة الإسلام بنصيب موفور من مدائحه، كما نظم قصيدة رائعة في الشيخ الدردير أشهر شراح متن خليل في الفقه المالكي ، ونحن نعرف أن الشيخ الحملوي لا يعدل أحداً من الأئمة بالإمام الشافعي، وفضلاً عن هذا فإنه - كما ذكرنا - كان يحضر مولد الإمام الشافعي في كل عام، يبتدىء الاحتفال بقصيدة، ويختمه بأخرى.

ومن قصائده العديدة في مدح الإمام الشافعي هذه القصيدة الحافلة بالحب والتبجيل الذي يلامس مناطق من التقديس المنضبط المعبر عن إيمان بنورانية العلم ومن يحمله وينقله ويفيض به على الناس:

رحاب الشافعي ظل ظليل
وساحته بها الإحسان يهمي
وروض حماه للزوار
زيارته إلى الخيرات باب
فقم نحو الحمى واقصد جنابا
وقل يا شافعي بحسن قصد
فلا والله لا تؤذى بسوء
وتبقى في المهابة مثل اسد
ومورده فرات سلسبيل
وفيها الجود منهل يسيل
امسى به الإسعاد والخير الجزيل
وفيها العز والمجد الاثيل
على امداده قام الدليل
على اعتابكم عبد ذليل
ويغبطك المحقر والجليل
لها هذا الحمى غاب وغيل

حماه للورى حصن منيع فحاشى ان يضام به نزيل
ومن يكن الإمام له كفيلا بحاجته فيا نعم الكفيل

الاعتقاد في بركات الإمام الشافعي

ويتحدث الشيخ أحمد الحملوي عن مناقب الإمام الشافعي حديثاً جميلاً يكرر فيه ما شاع عن علم ذلك الإمام العظيم وفقهه وفهمه، مرتباً على هذه المناقب ما أحاط بشخصية الإمام الشافعي من تقديس وتبجيل واعتقاد في بركات ذلك الإمام ا:

إمام قد حوى علما وفضلا له احتاج المفضل والفضيل
فذا حبر الأئمة من قریش قلیل من يماثله قلیل
به نور الشريعة قد تلالا ومن تأليفه وضح السبيل
سفينته ببحر العلم تجرى بشرع الله ملأ لا تميل
لقد جاب البسيطة في صباه لإدراك المعارف ذا النبيل
فنال من السعادة كل عز وطرف الدهر ارمد او كليل
معارفه طباق الارض عمت كخصب جاده غيث ونيل
به افتخرت على الافاق مصر وسار بفخرها المثل الجميل
فما في الفخر بين الناس فرق فسيان النزيل او الصيل
به وبال احمد ارض مصر علت قدرا وحاشاه يزول
فيا حبرا به الدنيا تباهت ويا بحرا به يشفى الغليل

وصف وفود الزائرين

و يصف الأستاذ الحملوي قدوم الجماهير إلى مقام الإمام الشافعي وصفاً رومانسياً جميلاً يشع بالحب ويعبر عنه، كما يعبر عن ولاء التلميذ المحب للأستاذ الذي لم يره إلا في صورة بديعة:

وفود الزائرين إليك وافت
يرجون العطايا من يمين
فوجّه نظرة من فيض فضل
ولا حظ من يزور بحسن قصد
وكن عضدا لاهل العلم طرا
ومن احيا لمولدكم شعارا
وكن لي بالعباية خير راع
فانت لنا إلى المختار باب
عليه الله صلى ما قرانا
تؤمّ حمى به حل القبول
ساب عطاؤها ايدا هطول
ففيض نذاك مولانا جزيل
فحسن القصد غايته الوصول
فباعك في الورى باع طويل
جميل الوضع ليس له مثيل
فإني في المحبة لا احول
وباب الخير يفتحه الرسول
رحاب الشافعي ظل ظليل

قصيدته الجميلة : الفخر بالعمل لا بالجاه

في مطلع قصيدة شهيرة مدح بها الإمام الشافعي عند بدء الاحتفال بمولده سنة ١٩١٢، يقول الشيخ الحملوي في القصيدة المسماة بالشطر الأول منها «الفخر بالعمل لا بالجاه والمال»:

الفخر بالعلم لا بالجاه والمال
كم من مليء وضيء الوجه
في المال والجاه اسباب الغرور
تلك الامور سحابات تغيّرها
ولكن العلم لا ينفك صاحبه
افق السّماكين بل اعلاه مقعده
إن عاش عاش اجلّ الناس منزلة
والمجد بالجدّ لا بالجدّ والخال
تحسبه للعلم خلا ولكن فكره خالي
ومن يعتز بالاهل كالمغتترّ بالال
حوادث الدّهر من حال إلى حال
معظم القدر في حلّ وترحال
في كلّ حالٍ تراه ناعم البال
او مات مات باعظام وإجلال

قصيدة الحملوي في الامام الدردير و تعلقه به

وللشيخ الحملوي قصيدة رائعة في تبجيل سيرة الفقيه المالكي الشيخ أحمد الدردير ١٧١٥-١٧٨٦، الذي هو أشهر شراح متن خليل، أشهر متون الفقه المالكي:

للسيد الدردير قطب الدائره	عين لمن حلوا حماه ناظره
وله رحاب الاكرمين وساحة	بالجود والإحسان امست عامره
هذا ابو البركات والعلم الذي	حاز المعالي والمعاني الفاخره
هذا هو الدردير وارث مالك	في علمه الورى النفوس الطاهره
هذا ابو المدد المديد من إذا	ناداه ذو كسر راه جابره
للخلوتية في الطريق موارد	لكنها عن ورد هذا صادره
إن نام عن ورد الطريقة نائم	فعيون هذا القطب باتت ساهرة
حتى ارتوى من انهر السبع	التي بالروح الريحان ظلت عاطره
فروى واروى ثم امتع من اتى	بشراب اسرار وارضى خاطره
من بعد ال المصطفى والشافعي	تلقاه بدرا في سماء القاهره
من ذا الذي لا يستمد هباته	وهباته السحب الهوامى الهامره

بركات الشيخ الدردير

ثم يتحدث الشيخ أحمد الحملوي حديثاً تلقائياً بسيطاً يشبه حديث العوام عن بركات الشيخ الدردير، وهي بركات مشهورة في ذلك الجيل والأجيال التي تلتها، ومن الطريف أن نذكر أن زعيم الامة مصطفى النحاس باشا نفسه كان يحرص على زيارة الإمام الدردير:

من جاء للدردير محتما به
تبت يداه من لم يزر هذا الحمى
وبه ثوى الاقطاب واحتاطوا به
فانظره تجد حول الضريح
هذا السباعي وابنه بحياله
فبهم إلى المولى الكريم توسلوا
في القبر احبك وتلك عقيدتي
فدعوا مقال المبطلين فسوقهم
بيننا تراهم يعمهون بغيهم

خرت له هام الاكابر صاغره
وبه العطايا الوافيات الوافره
كالبدر في وسط النجوم الزاهره
ائمة كانت وجوههم الوجوه الناضره
او ما ترى تلك البحور الزاخره
فلهم بفيض الفضل روح حاضره
وارى قلوبكم بذلك شاعره
كسدت وصارت في التجارة خاسره
وضلالهم فإذا هم بالساهره

الفوائد الروحية

ويعود الشيخ أحمد الحملوي ليؤكد على يقينه في تعدد الفوائد الروحية التي
تترتب على زيارة أمثاله من محبي العلماء لمقامات هؤلاء العلماء الكبار،
مستحضرين عظمتهم ومناقبهم، منتفعين ببركاتهم:

من زار اعتاب الكرام فإنه
وإذا اعتدى يوما عليكم معتد
فخذوا السيوف من البرازخ انحروا
يستبشرون بنعمة من ربهم
يا احمد الدردير إنا في الحمى
جننا إلى المدد بمولد
فانظر إلى وللحضور وقل لنا
واستبشروا منى بحسن عناية

لاشك يكرم والادلة ظاهره
فسيوف ارباب البرازخ باتره
نحر البغاة بل الفئات الفاجره
فيهم انت وكفى بذاك مفاخره
وإليك جننا والمدامع ماطره
احيت لديك يد الكرام شعائره
لكم القبول ودمتم في الذاكره
في هذه الدنيا ودار الاخره

لا زلت للزوار كعبة مقصد وعليك ازهار الرضا متناثره
صلى الإله على النبي واله والصحب ارباب الايادي الباهره

شعره الاحتفالي

كان العالم اللغوي الكبير الشيخ أحمد الحملاوي شاعرًا مجيدًا مكثّرًا من الشعر الاحتفالي الذي ينظمه كبار الشعراء من أمثاله في المناسبات العامة والخاصة، ينبون فيه عن أمتهم في التعبير عن انفعالها بالزمن ، على نحو ما كان كذلك شاعرا ذاتيا يعبر بشعره عما يعرض لحياته الخاصة من شئون، وما يتطلع إليه من آمال، وما يضطرم في نفسه من آلام.

ومن الانصاف أن نشير إلى أن أشعار الشيخ احمد الحملاوي الاحتفالية تنبئ عن صفاء روحه وقوة نفسه وشفافية وجدانه المتدين المتصوف ، فضلا عما تدل عليه من تمسكه بأداب الدين وفضائله، حتى لقبه بعضهم «الشاعر الصوفي».

في رثاء حسن توفيق العدل

نظم الشيخ الحملاوي قصيدتين في رثاء صديقه وزميله العظيم حسن توفيق العدل ١٨٦٢-١٩٠٤ ، أستاذ الأدب العربي الأشهر في جامعة برلين، ومرثيته في ذلك الزميل النابغ من محاسن شعره.

قصيدته : ما كل رزء مثل رزئك يا حسن

اختار الشيخ الحملاوي لهذه القصيدة قافية النون الساكنة بما تبثه من توافق سمعي مع روح التوقف الحزين على نحو ما كانت وفاة حسن العدل التي كانت صورة من صور التوقف الحزين :

ما كل رزء مثل رزئك يا حسن رزء جسم للمعارف والوطن
كنا على ثقة بعودك سالما عالي الذرى متزودا من كل فن

ما كان اشفقها عليك وما احن
بل ضمك التابوت في طي الكفن
لسكينة التابوت مذ كان السكن
ل ولا تجيب وانت قس في اللسن
ابدا ولا طول الفراق لكن يظن
اين الصفات النر والخلق الحسن
من غير موصوف تئن من الحزن
ماتوا لموتك في المواطن والعطن
قلنا الهمام إلى المعالى قد ظعن
ومعنعنا في مكرماتك عن وعن
تسعى لصالحها وتصلح ما وهن
فالدهر حاربها واظهر ما اكن
حزنا وقل الصبر وازداد الشجن
فاغتاله تبا لحقدك يا زمن
الذا ارتحلت إلى اربا يا حسن
قلبت لنا بعد الصفا ظهر المجن
يوم الكابة والمساءة والمحن
حسن وعدل في الحديث ومؤتمن

فنتبث افكارا وترشد امة
لكن رجعت وما رجعت بسالم
حملتك اجنحة البخار كرامة
ما هكذا كان المؤمل ان اقو
ما كان في الحسبان عودك هكذا
اين العلوم واين هاتيك النهى
بالله في اي البقاع تركتها
قم يا شهيد العلم حدث رفقة
لما ظعنت وما ظعنت لهين
نروي حديث الفضل عنك مسلسلا
قد كنت مامولا لخدمة امة
قد كانت الامال فيك قوية
ابناء مصر تفتنتت اكبادهم
حقد الزمان على البلاد مهذبا
اسفا عليك اخا المعالي والهدى
يا رحلة ساءت وساء مصيرها
لا كان فجرك قد تبدى يومه
توفيق حدثني فانك صادق

ثم ينأسى الشيخ أحمد الحملوي في هذه القصيدة مغالبا آلامه ومخاطبًا صديقه
الذي توفي في سن مبكرة:

حفظوك في سر الفؤاد وفي العلن
وسفاك ماء او هداك إلى السنن

ماذا جرى حتى تركت احبة
بالله من حضر احتضارك للردى

بالله من كان المحدث وقت ذا
كانت لمنعاك البيوت ماتما
هل كمبرتش قد اعترها ما اعترى
لا والذي ادمي القلوب لفقده
يا من له المجد الاثيل ومن له
نبكى شمائلك التي فاقت على
من ذا نعتزى في الفقيد وكلنا
لكن نعزى الفضل فيه واهله
حسن عليك من المهيمن رحمة

بالله من ذا قد طلبت ومن ومن
والناس قد ضجوا ومدمعهم هتن
مصرا واهليها وفيها الخطب رن
ما كمبرتش كاهل مصر في الغبن
فضل سما هام الثريا للقتن
من في الحواضر والبوادي قد قطن
اهل وقربى في العلوم وفي المهن
وعوم ابناء المعارف والوطن
وجزاك في دار العلى اعلى سكن

شعره السياسي

للشيخ أحمد الحملاوي كثير من الشعر السياسي الذي تناول قضايا عصره بروح مثالية وأمل في الإصلاح والنمو والارتقاء.. ومن شعره السياسي الجميل الرائق هذه الأبيات الحافلة بالأمل بعد المعاناة:

يا ازمة انفرجي فالظلم قد زادا
والعدل ولى وحل الجور موضعه
اما النفاق فقد راجت تجارته
والحقد والحسد الممقوت صاحبه
ختل وخدع وعدوان وتفرقة
اغراض كل إذا فكرت سافلة
ايها الخل لا يلوك معذرة
فالناس قد اصبحوا في سعيهم شيعا

والبغي عم وقد صار الاذى زادا
والغدر بعد اشتداد الضعف قد سادا
والحق اصبح في الاحداث او كادا
عم الانام جماعات واحادا
بين القلوب فصار الكل اضدادا
حتى غدوا بعد لم الشمل افرادا
إن كنت للنفس والاهواء منقادا
والكل عن منهج الانصاف قد حادا

يلقاك بالبشر مسرورا ومبتسما
حتى تولت وماتت كل عاطفة
ولكن الصدر منه فاض احقادا
منهم فمنهم رصين الطود قد ماد

رثاء مصطفى كامل

نظم الحملاوي كثيرًا من القصائد في مديح ورثاء رجال عصره، وفي مقدمة هؤلاء الزعيم الوطني مصطفى كامل باشا، وقد كان من أنصار هذا الزعيم ومن المتيمين به و بوطنيته، ونظم في رثائه قصيدة مؤثرة، نشرت بصحيفة اللواء في ٢٥ مارس ١٩٠٨:

تبكيك اعواد المنابر خشعًا
يايها المنطيق ما لك ساكتا
وعليك ذابت حسرة وتأسف
حتى متى هذا السكوت اما كفى
قم وارق منبرك الذي عودته
حسن الخطابة فالنفوس على شفا
واصدع بامرك يا همام فكلنا
مرضى و انت لنا من المرض الشفا

يتحدث باسم الزعيم مصطفى كامل

وينظم الشيخ أحمد الحملاوي على لسان الزعيم مصطفى كامل شعرا جميلا ناصحًا بني وطنه:

قد كنت فردًا واحدًا فحججت من
واليوم كلكم رجال فافتنوا اثري
في الحكم جار على البلاد واجحفا
وجدوا فالهمام من اقتفى
من بعد موتي يا افاضل مصطفى
إن التفرق كم اذل واضعف
فتنوا بمولاكم ولا تنفرقوا

تلاميذه

كان من أشهر تلاميذ الشيخ الحملوي ذلك الجيل من التربويين المؤثرين في حياة الأمة الأساتذة : الشيخ عبد العزيز جاويش بك ، وعاطف بركات باشا ناظر مدرسة القضاء الشرعي ١٨٧٢-١٩٢٤ ، والشيخ محمد الخضري بك ١٨٧٢-١٩٢٧ ، والشيخ أحمد إبراهيم ١٨٧٤-١٩٤٥ والشيخ أحمد الإسكندري ١٨٧٥-١٩٣٨ . وممن أدركوا الشيخ الحملوي و تلقوا العلم عليه في مدرسة المرحوم عثمان ماهر باشا الأساتذة : الإمام الأكبر الشيخ حسن مأمون والشيخ أمين الخولي ١٨٩٥-١٩٦٦ الأستاذ مصطفى السقا ١٨٩٥-١٩٦٩ والدكتور محمد مهدي علام ١٩٠٠-١٩٩٢ .

ديوانه

طبع الجزء الأول من ديوان الشيخ أحمد الحملوي في أول يونيو سنة ١٩٥٧ ، بمطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بالقاهرة.

مؤلفاته

- شذا العرف في فن الصرف (صدرت طبعته الأولى ١٨٩٤).
- زهر الربيع في المعاني والبيان والبديع (صدرت طبعته الأولى ١٩٠٩) بالمطبعة الأميرية.
- مورد الصفا في سيرة المصطفى (صدرت طبعته الأولى ١٩٣٩) بمطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بالقاهرة.
- قواعد التأييد في عقائد التوحيد (رسالة صغيرة طبعت بمطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بالقاهرة، سنة ١٩٥٣).

وفاته

توفي الشيخ الحملوي في ٢٦ من يوليو سنة ١٩٣٢ أي فيما بين وفاة الشاعرين الكبيرين حافظ و شوقي.

الفصل السابع سلطان محمد بك

اللغوي الذي أسس لتدريس الفلسفة العربية

كان سلطان محمد بك من كبار رجال التربية في عصره، ومع أنه كان من كبار أساتذة اللغة العربية على النمط التقليدي ، فقد كان هو نفسه أول من بدأ تدريس علوم الفلسفة والمنطق والأخلاق باعتبارها من آداب اللغة العربية ، وهو أول من صنف كتباً مدرسية في المنطق، و أول من ألف كتباً جامعية في الفلسفة العربية والأخلاق، وفيما بعد عقدين كان هذا التوجه التقدمي بمثابة أساس للتوجه الذكي الذي لا يزال نأخذ به في تعليم علوم الفلسفة والاجتماع في كلية الآداب لا في كلية منفصلة للعلوم الاجتماعية على نحو ما تفعل الآن بعض الدول العربية اقتداءً بأنماط غربية لم تتسع لغاتها [المحدودة التأثير] لدراسة الفلسفة وعلومها كآداب اللغة الأصيلة . ولولا أن الأفاضل في جيل سلطان محمد انتبهوا مبكراً إلى هذا التوجه ما أمكن لهذا الفهم أن ينتعش فيما بعد على يد الأستاذ أحمد لطفي السيد و الدكتور طه حسين والأستاذ أحمد أمين . وهو صاحب الاستخدام المبكر لمصطلح الفلسفة العربية، وقد كان أيضاً من أوائل من اضطلعوا بتدريس الفلسفة في الجامعة المصرية القديمة (الأهلية) و إن كان البعض يذكر اسمه على أنه محمد سلطان من باب السهو.

مكانته في جيله

تخرج سلطان محمد بك في دار العلوم في ١٨٨٤ أي بعد حفني ناصف بك بعامين وقبل حسن توفيق العدل بثلاثة أعوام، وقبل الشيخين احمد الحملاوي ، ومحمد شريف بأربعة أعوام . ويُروى أنه قد أفادته في صعوده الوظيفي ترتيبات ابتدعها علي باشا مبارك في مكافأة المتميزين من المدرسين بزيادة علاوتهم من وفورات الميزانية، وكان سلطان محمد بك يستعد لهذه الامتحانات المتعاقبة بالقراءة والاستيعاب وهو ما أهله أن ينال مبكراً وظائف الاستاذية في مدرسة الحقوق ودار العلوم والجامعية الأهلية.

عمله بالتدريس و قيمته التربوية

على نحو ما كان سلطان محمد بك أول من طوع مناهج اللغة العربية لاستيعاب آداب العربية في الفلسفة ، فقد وضع لمسات كبيرة في تأصيل تعليم اللغة وآدابها، وإليه يعود الفضل في صياغة مناهج اللغة العربية في المدارس العليا اعتماداً على ميراثه التربوي ومطالعاته الفلسفية والمنطقية، و قد بلغ مكانة متقدمة بين أساتذة اللغة والأدب حتى إنه نال درجة البكوية في ١٩١٠ و كان من أبرز المدرسين الذين اعترف تلاميذهم بفضلهم و تجويدهم في ذلك الجيل الذي روى أبناؤه كثيراً من ذكرياتهم التربوية والوظيفية ، وتأثر به تلاميذه في الحقوق ودار العلوم على حد سواء و كان له أثر كبير في كثير من تلاميذه الذي نبغوا بعد هذا . وعلى سبيل المثال فإنه هو الذي أطلق على الأستاذ إبراهيم مصطفى لقب سيبويه الصغير إعجاباً باجتهاده ،

من الجيل الأول لمؤلفي الكتب المدرسية

اشترك سلطان محمد بك مع حنفي بك ناصف في تأليف كتب الأدب العربي المدرسية، وكانت ذائقته الراقية ورؤيته الفلسفية خير عون له على اختيار المنتخبات الدراسية. ومن الكتب القيمة التي اشترك في تأليفها و لا تزال تطبع حتى الآن : كتاب قواعد اللغة العربية لتلاميذ المدارس الثانوية بالاشتراك مع أربعة من زملائه تسبق أسماؤهم اسمه وهم حنفي بك ناصف ، ومحمد بك دياب ، و الشيخ مصطفى طوموم ومحمد أفندي عمر.

أثاره

- الدروس المنطقية للمدارس الأميرية
- خلاصة الأصول
- الفلسفة العربية والأخلاق (جزأين).

الفصل الثامن محمد شريف سليم

أول الأساتذة المؤلفين في التربية

يكاد الأستاذ الشيخ محمد شريف سليم يكون معادلاً موضوعياً في جيله للأستاذ أحمد أمين في جيل آباء الجامعة المصرية ، ويكاد أسلوبه في كتابه عن الخوارج يمثل المنهج الذي طوره احمد امين في كتابته عن تاريخ الفكر السياسي في الإسلام، أما القيمة العلمية والتربوية العملية للشيخ محمد شريف سليم فتكمن في أنه أول من اهتم بالتأليف في علم التربية كما أنه كان أول من عُني بمناهج فرع مهم في طرق تعليم اللغة وهو التهجي، وقد برزت أهمية هذا العلم مع اتباع طرق التعليم في مدارس أولية موازية للكتاتيب التي كانت تعتمد على نوع من التعليم الفطري المرتبط بموسيقى السماع واللحن المميز لإنشاد الجموع، فلما جاءت المدارس الأولية أصبحت هناك حاجة إلى وضع قواعد يهتدي بها معلمو الأطفال في تعليم الأطفال ، وأن تكون هذه القواعد ذات أصل علمي ولغوي لا يخرج باللغة المتعلمة عن أصولها، وهذا هو جوهر الاهتمام بفرع التهجي، وكان هذا بالطبع سابقاً على [تقنين] أفق آخر من العلوم التربوية والتعليم المرتبط باللغة وهو تعليم الإملاء الذي أبدع فيه أساتذة اللغة حتى وصلنا إلى عالم جليل هو الأستاذ مصطفى عناني الذي كان كتابه بمثابة "التقويم" أي الشيء المفترض وجوده في كل جيب وعلى كل مكتب، وقد سمي "نتيجة الإملاء" وهو ما يقابل في اللغة الإنجليزية : كتاب الجيب، ودليل الجيب، أو المرجع المعياري الذي لا بد من وجوده في كل قاعة من قاعات التربية .

نشأته و تعليمه

ولد الشيخ محمد شريف سليم في حي درب الأحمر بالقاهرة، وحين بلغ الحادية عشرة من عمره كان قد أتم حفظ القرآن الكريم لكنه لم يلتحق بالأزهر مباشرة وإنما

التحق بمدرسة القربية الابتدائية أولاً، وظل مرتبطاً بالتعليم المدني حتى إنه بعد أن التحق بالأزهر (١٨٧٠) ظل يدرس ليلاً في مدرسة شهيرة كانت مشهورة بأنها تعلم اللغات وهي مدرسة الشيخ صالح .

وفي تلك الفترة زامل الشيخ محمد شريف سليم صنوه العالم الجليل حسن توفيق العدل وتعلما اللغة الفرنسية معاً في تلك المدرسة، وفي ١٨٨٣ التحق بمدرسة دار العلوم وتخرج فيها في فبراير ١٨٨٨ في الدفعة الأولى التي ضمت أيضاً زميله الشيخ أحمد الحملوي و هي الدفعة التالية لدفعة حسن توفيق العدل (تخرج في ١٨٨٧) و السابقة على دفعة محمود بك النصر نقيب المحامين (الذي تخرج في ١٨٨٩) .

انتدابه للتدريس في فرنسا ست سنوات

كان من حسن حظ الشيخ محمد شريف سليم أن انتدب عقب تخرجه ليتولى التدريس للطلاب المصريين الموفدين في بعثة لفرنسا وقد سافر من الاسكندرية في نهاية مارس ١٨٨٨ وبقي فيها ست سنوات ، وكان من حظه أن حضر بعد عام وهو معرض باريس ١٨٨٩ الشهير الذي بني لأجله برج إيفل ، و ذلك على نحو ما فصلنا القول في تاريخ ذلك المعرض كتابنا "باريس الحيوية".

تأهيله الفرنسي و رحلته المخطوطة

انتهز الشيخ محمد شريف سليم وجوده في فرنسا والتحق بمدرسة المعلمين، ونال إجازة التدريس .

وسجل الشيخ محمد شريف سليم رحلته هذه في سبعة أجزاء لا تزال مخطوطة أدعو الله أن يحقق أمنيته التي كنت قد خطت لها في أن تنشر عن قريب من خلال مشروع كنوز القرن التاسع عشر.

عمله بعد عودته

بعد عودته عمل الشيخ محمد شريف سليم مدرسا لفن التربية (أي علوم التربية النظرية والعملية) في قسم المعلمين العربي (كان هذا هو اسم دار العلوم في ذلك الوقت) لمدة ٣ سنوات (١٨٩٥ - ١٨٩٨).

ريادته للتأليف العربي في علم النفس

تذهب الكتابات المؤرخة للحركة العلمية إلى أنه كان صاحب أول كتاب في علم النفس باللغة العربية، وقد ضمنه محاضراته التي كان يُلقبها ويُملئها، لكن الكتاب لم يُطبع إلا عام ١٩١١.

اختياره للتفتيش في الوزارة

لما أخذت مصر بسياسة الاهتمام بالتفتيش من أجل تحقيق الجودة وعهدت إلى حسين رشدي باشا (رئيس الوزراء فيما بعد) بهذه المهمة، اختير محمد شريف سليم ليكون واحداً من المفتشين، ورفي مفتشاً للتعليم العالي في ١٩٠٢، وظل يمارس هذه المهمة الإشرافية والتوجيهية والتقنية حتى نوفمبر ١٩١٦ حيث تولى وضع كثير من اللمسات العملية على تدريس اللغة العربية في التعليم العام.

اختياره ناظراً لدار العلوم

في نوفمبر ١٩١٦ اختير الشيخ محمد شريف سليم ناظراً لدار العلوم وبقي يشغل هذا المنصب حتى توفي (أكتوبر ١٩٢٥) أي أنه شغله ٩ سنوات كاملة وكان في شغله لهذا المنصب مناظراً وموازيا لفتح الله بركات باشا الدرعي اللاحق به في التخرج والذي تولى نظارة مدرسة القضاء الشرعي.

كان الشيخ محمد شريف سليم جاداً في معاملته لطلاب دار العلوم، لكنه كان متبسّطاً مع زملائه من المدرسين، وكان حسن الفكاهة، راوية للتاريخ، مُلمّاً بالثقافة العامة.

اسهامه البارز في مؤتمر التعليم الأولي

كان محمد شريف سليم أحد أبرز المشاركين في أول مؤتمر علمي للتعليم الأولي وهو الذي انعقد من ١١ إلى ١٦ يوليو ١٩٢٥ في عهد تولي على ماهر باشا لوزارة المعارف في وزارة زيور باشا .

تمثيله مصر في مؤتمر المستشرقين بإيطاليا

كلف الشيخ محمد شريف سليم بتمثيل مصر في مؤتمر المستشرقين في روما (أكتوبر ١٨٩٩) وقدم في هذا المؤتمر بحثاً مطولاً بعنوان مستقبل اللغة العربية، وهو البحث الذي نشرته صحيفة دار العلوم بعد عشر سنوات (١٩١٠).

عضويته في المجمع اللغوي القديم

كان الشيخ محمد شريف سليم عضواً في المجمع اللغوي القديم (١٩١٩) الذي كان يضم عدداً من أفاض اللغة، والذي لا يزال نبذل جهدنا في جمع تاريخه الضائع، والذي كان من أعضائه الشيخ محمد رشيد رضا وادريس راغب وإبراهيم رمزي و المستشار صالح جودت والأستاذ محمد علي دسوقي والأستاذ صادق عنبر.

عضويته في نادي دار العلوم

كان محمد شريف سليم مع الأستاذ حنفي ناصف من أبرز أعضاء نادي دار العلوم ومحرري صحيفته الأولى .

آثاره العلمية

- شرح ديوان ابن الرومي في مجلدين
- ملخص تاريخ الخوارج
- المترادفات (بالاشتراك)

آثاره الإبداعية

- رايات الجاهل
- رحلة إلى أوربا (سبعة أجزاء) ١٨٨٨ - ١٨٩٤

آثاره التربوية

- خلاصة المنشآت السنوية لمطالعة المدارس الثانوية (٣ أجزاء)
- كتاب المطالعة الابتدائية ١٩٠٢
- كتاب التهجي والمطالعة
- علم النفس ١٩١١
- مختارات من النثر والشعر لطلاب المدارس ١٩١٢

موهبته الفنية في الخط

كان الشيخ محمد شريف سليم خطاطاً مجيداً، ويُذكر أنه نسخ رحلته الأوربية بخط جميل.

إنتاجه الشعري والأدبي

اشتهر من إنتاجه الشعري والأدبي قصيدته في رثاء زميله حسن توفيق العدل ، وله رواية تمثيلية بعنوان الجاهل، تم تمثيلها ١٨٨٤، و لا تزال هذه الرواية في حاجة إلى دراسة من حيث ريادتها و صياغتها .

قصيدته مفخرة الشرق

كوكب الشمس اينما سار نور
رفع الناس قدره لمزايا
قد كسا الكائنات خلعة نور
ظاهر في الوجود اعظم مظهر
فيه جلت عن ان تعدّ وتحصر
فاستنار النهار والليل اقمر

مال قامت وكل صعب تيسر
كل حي بالسر هذا مؤثر
ب جدير بان يتيه ويفخر
بنصيب اعلى واغلى واوفر
منه نفع تعداده يتعذر
ظرو لاوصافها البديعة كبر
صفة الشيء بالحقيقة تذكر
حسن منه «الخليل» والامر اشهر
قال هذا في محكم الصنع اكبر
مة، فاستبصر الامور وبصر
ء، واوصافه فبالفوز اجدر
ومليحا له الجمال توفر
وهو طوع الهوى عليه تامر
لضعيف اللحاظ عبدا وتؤثر
رب لين يعدو على الرفع بالجر
إنما الراح راحة تتكدر
كل هذا عليهم وتوزر
والمعالي عرائس تتبختر
غير حر عن ساعد الجد شم
مة لاحت لعقله فتنور
غ التجاريب فهو بالامر ابصر
مبتدا الامر والعواقب تظهر
ويريك الامور كيف تدبر

وتسنت به المصالح والاع
اودع الله فيه سر حياة
فلئن يزدهي به الشرق فالغر
فكلا المنزلين ياخذ منه
كل يوم ياتي على كل قوم
صنعة الواحد الحكيم ومن ين
لم ابالغ فيه غلوا ولكن
سبق الناس في ابانة وصف ال
حينما شاهد الكمالات فيه
وفق الله ذا «الخليل» إلى الحك
كل من اوتي التعرف بالشي
يا خليلي دع عنك هيفاء تسبي
لست ممن يضيع عمرا نفيسا
لا تكن تاسر الاسود وتمسي
رقة الطبع من طباعي ولكن
يا خليلي ولا تريحك راح
قد تولى عصر الذين تول
إنما نحن في زمان المعالي
ليس يحظى بلذة الوصل منها
هدبت نفسه المعارف والحك
وابانت له الحقائق انوا
تتجلى المستقبلات له من
ويريك الاعمال تحكم صنعا

وله همّة تنجّر ما كا
زینته محاسن الفضل حتى
ذاك كفاء الغلا كريم السجايا
إن هذا توفيق ربك يعطي
خلق الله للسعادة قومًا
ن على الدهر فعله يتعسر
صار ابهى من الشموس وابهر
حسن الإسم ذو التناء المعطر
له لمن يصطفي ومن يتخير
وانتقاهم إلى المعالي وطهر

قصيدته في رثاء زميله حسن توفيق العدل

عمّ الاسى حين لبي ربه «حسن
لما اتى نعيه من «كمبردج» على
يا نشاة المجد ارداك المنون ولم
ذقت الحمام غريبًا ليس يحضره
رحلت عنا ومصر كلها امل
رجعت للوطن الاصلي وانفس ما
كم ليلة بتها للعلم تحرزه
وكم نهار صحبت الجد فيه ولم
كانت احاديثك الشهد الشهى ومن
وكان لطفك يسبي من تعاشره
وقد خلقت ابي النفس ترفعها
وما توسلت في نيل العلا بسوى
اصبت يا مصر فيمن لم يعز عليه
جاب البلاد ابتغاء العز يجلبه
توفيق»، واشتدت الالام والحزن
جناح برق فسالت ادمع هتن
يمهلك حتى تنال المارب الزمن
ممن يفديه لا اهل ولا ختن
والان عدت ومصر كلها شجن
مضت حياتك فيه الدين والوطن
جفا عيونك في اثنائها الوسن!
ياخذك في عمل كل ولا وهن!
سنا محياك كانت تسطع الفطن
حتى غدا اللطف معنى شخصه حسن
عن ان يكون عليها لامرئ من
كفاءة منك لم يقدر لها ثمن
له لارتقائك لا روح ولا بدن
إلى حماك فعافت سيره المحن

الفصل التاسع الشيخ حسين والي

العلامة الذي جمع السلطات الصوفية والمجعية و التشريعية

كان الشيخ حسين والي (١٨٦٩-١٩٣٦) أحد الرموز البارزة في مجتمع علماء الأزهر عالما ومفتيا وسياسيا وبرلمانيا وإداريا وشاعرا وناقدا ولغويا ومجعيا، وقد اجتمع له ما لم يجتمع لغيره من جيله من هذه الأمجاد ، وهو واحد من ابرز رموز الجيل المسحور الذي هو الجيل التالي لجيل الشيخ محمد عبده والسابق على جيل الشيخ المراغي . وهو عالم ابن عالم فقد كان والده من علماء الأزهر ، ومن الطريف أنه يحمل اسم والده وهكذا فان اسمه الكامل بالطريقة العصرية هو حسين حسين إبراهيم والي.

ولد الشيخ حسين والي ببلدة ميت أبو علي بمركز الزقازيق بمحافظة الشرقية في سنة ١٨٦٩ ، وقد تولى والده العناية به حتى حفظ القرآن الكريم في سن صغيرة، ثم صحبه إلى القاهرة حيث رتب له الإقامة مع عمه ، وأتم الدراسة الابتدائية في مدارس التعليم العام ، ثم التحق بالأزهر وهو في الثالثة عشرة من عمره فدرس التجويد والقراءات ثم درس العلوم الشرعية واللغوية على كبار العلماء . وكان من الذين تلقى عنهم العلم المشايخ الشربيني والأشموني والإنبائي ، ولم يزل يدرس حتى نال شهادة العالمية.

عُيّن الشيخ حسين والي مدرّساً للفقهِ الشافعي والأصول بالأزهر، فدرّس كتاب الأم وهو في الثلاثين، وسرعان ما أصبح من الثقات الذين يعول عليهم في الإفتاء. إذ كان الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده يحيل عليه بعض الاسئلة المشكلة التي كانت ترد إليه من البلاد الإسلامية، فكان يقوم بهذه المهمة على أكمل وجه. ويذكر أن مجلة المنار أشارت إلى ما كان له من جهود في تحري الحقيقة والصواب في هذا المضمار.

وحيث أنشئت مدرسة القضاء الشرعي سنة ١٩٠٧، بعد وفاة الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، اختير الشيخ حسين والي ليتولى تدريس علوم الأدب العربي والإنشاء، والمنطق، وأدب البحث والمناظرة، وبعض العلوم الشرعية.

ثم اختير الشيخ حسين والي لتولى منصب المفتش العام للأزهر والمعاهد الدينية وفي أثناء قيامه بمنصب المفتش العام بالأزهر والمعاهد الدينية، وضع مشروع قانون الأزهر الذي صدر سنة ١٩١١. ثم نقل بعد ذلك وكيلاً للمعهد الأحمدى في طنطا، ثم عين كاتباً للسر العام في الأزهر أي أميناً عاماً للأزهر، وهكذا كان يبدو من الوظائف المسندة إليه انه كان ممن يطلق عليهم وصف الدينامو المولد للحركة الأزهرية العلمية .

عضويته في المجمع والبرلمانات

عاش الشيخ حسين والي حياته المهنية و السياسية منتميا الى تيارى النهضة والوطنية فكان قريباً من حركة التجديد الديني التي قادها الإمام محمد عبده، كما كان نصيراً لثورة ١٩١٩. و اختير بعدها عضواً في مجلس الشيوخ (البرلمان) مرتين.

وكان من أوائل من جمعوا بين عضوية اكبر هيئتين عاميتين فاختر عضواً في هيئة كبار العلماء (١٩٢٤) وفاز بهذه العضوية بفضل بعض مؤلفاته المطبوعة وعضواً في مجمع اللغة العربية (١٩٣٣) وهكذا كان الشيخ حسين والي من الرعيل الأول المؤسس لمجمع اللغة العربية عند إنشائه، وكان واحداً من ثلاثة من علماء الأزهر اما الأخران فكانا هما الشيخان إبراهيم حمروش ١٨٨٠-١٩٦٠ ومحمد الخضر حسين ١٨٧٦-١٩٥٨ وقد توليا منصب شيخ الأزهر فيما بعد .

ومن الجدير بالذكر انه كان أول أعضاء مجمع الخالدين رحبلا عن الحياة . وتبعاً لما اتبعناه به من الأخذ بترتيب المعينين في اليوم نفسه تبعاً للحروف الابجدية ، فقد كان كرسيه هو الكرسي الخامس من كراسي المجمع ، و قد ظل كرسيه خاليا ست سنوات حتى شغله الدكتور على توفيق شوشة في ١٩٤٢ .

وقد شارك الشيخ والي في أعمال عدد من لجان المجمع ، فكان عضوًا بلجنة الآداب والفنون الجميلة، ولجنة العلوم الاجتماعية والفلسفية، ولجنة الأصول العامة، ولجنة المجلة، ولجنة لدراسة معجم فيشر.

وإذا كان الشيء بالشيء يذكر فقد كان الشيخ حسين والي طيلة حياته في الاستاذية مشهورًا بعنايته الشديدة بسلامة الفصحى؛ بل كان يكتب تصويب الأخطاء الشائعة ويعلقها على لوحة لتكون تحت عيون طلابه. وكان يقول الشعر، وكانت له براعة في فن "التأريخ بالشعر" القائم على حساب حروف الجُمَل. وهو ما شغل نفسه به في تربيته لكتاب "شذا العرف في فن الصرف" للشيخ أحمد الحملاوي.

آثاره المطبوعة

- الموجز في علم أدب البحث والمناظرة
- كتاب الاشتقاق
- رسائل الإملاء
- رسالة التوحيد

من قصائده المشهورة

- قصيدة "شواره عكاظ" في مدح الإمام محمد عبده وهي قصيدة وصفت بعسر العبارة، مع عمق المعاني .
- قصيدته في تربيته كتاب الشيخ احمد الحملاوي في علم الصرف وهي كما اشرنا قصيدة ناطقة بمهارته في التأريخ بالشعر أو حساب الجمل .
- قصيدته "الإشارة النبوية» أو " النومية" (٧١ بيتًا ، وهي في مدح شيخه (في الصوفية) إبراهيم أبو العيون.
- مرثية نشرت بكتاب: «المراثي الموصلية في العلماء المصرية» مطبعة جريدة الهداية ١٨٩٧،

نشاطه المجمعى

ألقى الشيخ حسين والى بالمجمع اللغوي ونشر بمجلته عدة كلمات وبحوث لغوية منها:

- التضمين
- المعرب
- المولد.
- اسم الآلة
- سبيل الاشتقاق بين القياس والسماع.
- النسب إلى جمع التكسير واقترح الموافقة على إقراره بالصيغة التالية "المذهب البصري في النسب إلى جمع التكسير أن يرد إلى واحده، ثم ينسب إلى هذا الواحد وأن ينسب إلى لفظ الجمع عند الحاجة كإرادة التمييز أو نحو ذلك".
- وله كلمة في جلسة افتتاح الدورة الثالثة "في القرارات التي أقرها المجمع في الدورة الثانية".

أثاره المخطوطة

- تعليقات على مراجع الفقه الشافعي
- كتاب في علم الكلام وتاريخه
- ثلاثة مجلدات في آداب اللغة وتاريخها.

قصيدته الإشارة النبوية

يتحدث الشيخ حسين والى في هذه القصيدة الشيقة اللطيفة عما رزق به من سكينه النفس التي ترى النعيم كل النعيم في الكون القائم على حين يصعب هذا الرضا والقبول على سائر الناس ، وهو يرى أن أمر عبوديته لربه هو الأهم من هذا الذي يشغل الكائنات من شؤون الدنيا ، فهو يأنس بالله جل جلاله و يغرق في بحور حبه ،

و يشرب من النور لا من الاناء كما يفعل الناس ، وهو لا يخشى أحدا إلا الله ولا يطيع غير الله ، كما أنه ممتن لشيخه أبو العيون فهو القطب الذي علمه هذا الوجد الصوفي وأدخله الكهف الايماني الذي حماه من الشياطين :

امسيت بالله في شؤون	والجن والإنس في شؤون
لم انسّه وهو خير معطٍ	لا في حراكٍ ولا سكون
طورًا اشاهده وطورًا	اكون في مَهْمَه الحنين
لا شيء في الكائنات إلا	وفيه لي موقف الرزين
ما من مكانٍ عدمت فيه	شغلا من الذكر بالظنين
فالكون طرًا نعيمٍ عَدَنٍ	لكنه غيرٌ مُستبين
والامرُ عندي امرٌ ربّي	والامرُ عندي امرٌ ديني
ارنو ولكن لصنع ربّي	وذاته الاقدس المتين
فلو حلفت بان عيني	لم تغف ما زغت في يميني
انسي هو الله في جموعٍ	وفي عُدونٍ وفي ظعون
في الحب اغرقت في بحورٍ	وما لجات إلى سفين
وإن شربت شربت نورًا	والناس تشرب من مَعين
سلوا قريني إذا تسنى	عن كنه عشقي يَجِبُ قريني
لا لومٍ إن لم اطع خدينا	غنيت بالله عن خدين
وهل اخاف سوى قويّ	عدلٍ بقبضته وتيني
سقاني الله كاسَ شوقٍ	على ضروبٍ من اللحن
فإن سمعت رنين شيءٍ	اسيل من ذلك الرنين
اروح بين الملا واغدو	وبي عظيمٍ جوى دفين
انا المولغ إن تواری	او بان بالمدمع السّخين

اتاحَ قَرَبَ المزارِ عني شكوايَ والقربَ ذو فنون
 حقا اراني «ابو العيون» طه وربّي بالعيون
 قطبَ يدور الرضا عليه ومُنْتَهاه هدى البَطون
 قطبَ جديرٌ بان يَزجى لبابه اجمع المتون
 نفسي تطاوعه وكانت من قبلَ كالصّافن الحرون
 تبعته قدراً واني دخلت في كهفه الحصين
 ازالَ إبليسَ عن نِزالي حتى نجوت من الخؤون

قصيدته تدارك صلاح الأمر

ينصح الشيخ حسين والي في هذه القصيدة من يتلقاها بأن يتدارك التوبة قبل فوات الزمن ، كما هو ظاهر من عنوان القصيدة ، وهو يقترح على من يستمع إليه أن يتترك ذكر المراهقة فهي حديقة بلا ثمر ، ثم هو يبدأ في الحديث بضمير المتكلم بدلا من ضمير المخاطب فيعترف على طريقة النفس اللوامة بأنه كان قد اتبع الغي وخالف الرشاد وأبصر العمياء وتعامى عن الهداية :

تدارك صلاح الامر قبل فواتِ وحاذرُ فكم للدهر من هفواتِ
 وخالفُ جموحَ النفس في شهواتها وشردّ بها عن مورد الحسرات
 ودغ ذكرَ ايام الصّبا فحديثه كروضِ زها لكن بلا ثمرات
 تصاممت عن داعي الرشاد ونصحها وليتت داعي الغي والتبعات

ثم يتذكر الشيخ حسين والي الموت وخطورة البناء القابل للانهيان لأنه يعول ، بلا دليل ، على البقاء مع ان العظة تتكرر في كل صباح فالموت لا يعرف فرقا بين هذا وذاك ، وكلّ لا بد ان يغرق فيه :

إلام التواني والسّهام تريشها
 علام يروم المرء طول حياته
 غدا يغرس الامال في روضة الفنا
 كان له عهدا على الله بالبقا
 عليّ يمين الله لا يعرف الفتى
 فكم صاح في حيّ فشئت شمله
 ولا فرق بين الشيخ والطفل عنده
 ولا بين ذي قدرٍ منيفٍ وخاملٍ
 بل الكل في بحر المنية غارق
 ايادي المنايا والمسوّفات
 ويبني على هارٍ بغير ثبات
 ويبني لمن لا يسكن الخجرات
 فيا للنهي والعقل للغلات
 طريق نجا من مورد الخفرات
 واحرق قلب الحّي بالزفرات
 ولا بين ذي فقرٍ وذي ثروات
 ولا بين ذي صفوٍ وذي كدرات
 ولو كان في حصنٍ وفي منعات

ثم يبدأ الشيخ حسين والي في رثاء طوسون (ويكتبه بواو واحدة مستغنيا عن الواو الثانية أي كما ينطق الاسم في وزن الشعر) فيقول إنه كان من رجال المكارم والمعالي جميلا كالبدر، شجاعا كالليث، حديثه كالمسك ولهذا كله، فقد كان الحزن عليه عظيما بالاكباد والعيون والوجنات والعبرات لكنه قد بقي له ذكره الطيب بهباته وخطراته:

ولو دام في الدنيا سريّ وماجد
 فتى كان يهوى المكرمات وإنما
 فتى كان كالبدر المنير وإنما
 فتى كان مسراه ونشر حديثه
 فتى كان من نسل الذين تقلدوا
 لقد فتت الاكباد نعي وفاته
 فكم اعين جادت بمزن دموعها
 وغاضت بحيرات العيون من البكا
 لدام بها «طسن» بغير ممت
 له في المعالي منتهى الرغبات
 هو البدر بل كالليث في السطوات
 كغيثٍ ومسكٍ طيب النفحات
 عقود فخارٍ في جميل سمات
 فشاب صغير القوم قبل نبات
 وواصلن صوب الليل بالغدوات
 فسالت ماقبها على الوجنات

يحق لاكبادٍ عليه تحوّلت يحق لارباب العقول تولة
يحق لارباب العقول تولة وإن كان من دنياه زال فإنه
وإن كان من دنياه زال فإنه وما كان في ترك الديار بكاره
وما كان في ترك الديار بكاره ولكنما ناداه مولاه للقرى
ولكنما ناداه مولاه للقرى نجيعًا أسى ان تسعف العبرات
نجيعًا أسى ان تسعف العبرات فما كل حينٍ مثله بمؤاتي
فما كل حينٍ مثله بمؤاتي بذكراه في مجدٍ وطيب حياة
بذكراه في مجدٍ وطيب حياة ولا كرهت فيها له خطرات
ولا كرهت فيها له خطرات فاكرمٍ متواه بفضلٍ هبات
فاكرمٍ متواه بفضلٍ هبات

رأي أنداده فيه

أثر عن الأستاذ الشيخ أحمد إبراهيم بك وصفه له بأنه كان أحد اثنين عرفا بالتدقيق في العمل والقيام بالواجب.

قصيدة الشاعر الجارم في رثائه مع زميليه

نظم الأستاذ علي الجارم قصيدة بعنوان «غداً في سماءِ العبقريّةِ نلتقي» رثاء لأول ثلاثة توفوا من أعضاء مجمع اللغة العربية، وكانوا هم الشيخ حسين والي والأستاذ أحمد الإسكندري، والمستشرق الإيطالي نلينو، وفي هذه القصيدة يقول الشاعر الأستاذ علي الجارم:

غداً في سماءِ العبقريّةِ نلتقي وتجنّم الاندادَ بَعْدَ التفَرّقِ
ونذكر عيشنا كالأزاهر لم يطل وودًا كمشمولِ الرّحيقِ المُصَفّقِ
ونضحك من امالنا كيف انها اصاخدت إلى وَعْدِ الزمانِ المُلقِقِ
ونسبح في انهارِ عَدَنِ كانما سرّايزنا من مائها المُتَدَفِّقِ
ونخرق الاجواءَ بيّنَ مُدَوِّمِ يَمَدَ جَنَاحِيهِ وبينَ مُصَفِّقِ
ذكرت اجبائي وقد سارَ ركبُهُم إلى غير افاقٍ على غير ايتِقِ
اودعهم ما بيّنَ لوعَةَ وَاجِدِ تطيرُ به الذِكرى وَزَفَرَةَ مُشَفِّقِ
وابعث في الصّحراءِ اناتِ شَيِّقِ وهل تسمع الصّحراءِ اناتِ شَيِّقِ

تعلقت بالحذباء حيران والها
لمست فلم المس سوى اريحية
اتدفن في الارض الكنوز وفوقها
ويمضي الحجا ما بين يوم وليلة
يضيق فضاء الارض عن همة
تباب لهذا الدهر ماذا يريد
يصدع من اعلامنا كل راسخ
هو الموت ما اغنى اسمه عن صفاته
رمتني عواديه فان قلت انها
وكيف وماذا ناعي من تعلقي
من النور لفت في رداء مخلق
خلاء الى لالايتها جد مملق
كلمحة طرف او كومضة مبرق
الفتى ويجمع في لحد من الارض ضيق
واي جديد عنده لم يمزق
ويطفئ من انوارنا كل مشرق
وعن كل الوان الكلام المنطق
مضت باماني الحياة فصديق

الجارم يصف علاقة الأستاذ الإسكندري بالشيخ والي

و يتحدث الشاعر علي الجارم عن علاقة الأستاذ أحمد الإسكندري (الذي كان قد بدأ برثائه) بالشيخ حسين والي، وما كان يدور بينهما من الحوار الراقى الحافل بالعلم والمحترم للاختلاف منتقلاً في الوقت ذاته إلى رثاء الشيخ حسين والي ومصورا واقعة من وقائع اختلاف الأستاذين الكبيرين في الرأي مع ما كانا يتمتعان به من سلامة المنطق ولين الخطاب و البعد عن اللجج ، وهو يصور تلويح أيديهما على أنها إشارات رايات الفصحي ، كما يصف الشاعر الجارم الشيخ والي بأنه صياد لؤلؤ و صاحب نظرة ناقدة وإحاطة واسعة مع تهذيب وهدوء :

الحمد إن تمرر بوالي فحيه
طويناه صياد الأوابد لم يدع
له نظرة لم يحتمل وقع سحرها
إحاط باتار الخليل بن أحمد
إذا مس بالكف الجبين تدافعت
ويبلغه أشواق الفؤاد المحرق
عزيزا على الأفهام غير موق
غريب ابن حجر او عويص الفرزدق
إحاطة فياض البيان مدقق
جيوش المعاني فيلقا إثر فيلق

ويومًا مع الإسكندريّ رأيته يجاذبه فضل الحديث المشفق
فهذا يرى في لفظة غير ما يرى اخوه ويختار الدليل وينتقى
فقلت ارى ليثا وليثا تجمعا واشدق ملء العين يمشي لاشدق
واعجبنى رأي سليم ومنطق يصول على رأي سليم ومنطق
وقد لوحت ايديهما فكانها إشارات آيات تروخ وتلتقي
ولم ارا في لفظيهما نبر عائب ولم ارا في عينييهما لمخ محنق
فقلت هي الفصحى بخير وإنها بامثال هذين الحفيين ترتقي

كتابات عنه

كتب عنه الدكتور محمد كامل الفقي في كتابه الأزهر وأثره في النهضة الأدبية الحديثة ، والدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي في كتابه الأدب المعاصر في مصر الحديثة، وكتب عن شعره الأستاذ عبد الجواد رمضان: في مجلة الأزهر : يناير ١٩٤٩. فضلا عن أمهات المصادر : معجم البابطين ، و الاعلام ، والاعلام الشرقية ، و منشورات المجمع اللغوي .

الفصل العاشر : العلامة أحمد الإسكندري

حارس الفصحى في عهد الاحتلال وعميدها بعد الاستقلال

الأستاذ الشيخ أحمد الإسكندري (١٨٧٥ - ١٩٣٨) هو عميد أساتذة اللغة العربية وآدابها في جيله، ويكفي من باب التصوير السياسي السينمائي أن نذكر أن حكومة صدقي باشا حين قررت إخراج الدكتور طه حسين من الجامعة ، و كان لا بد من غطاء ذكي يسوغ قبول القرار فإنها عوضت كلية الآداب بأن نقلت إليها أكبر أساتذة دار العلوم وعميد أساتذة اللغة العربية وآدابها وهو الأستاذ الشيخ أحمد الإسكندري ، وهو الذي كان يمثل يومها أبرز شخصية علمية أكاديمية ذات سطوة مجتمعية وإدارية نافذة فضلا عن قيامه بالأستاذية المتصلة في دار العلوم منذ ١٩٠٧ ، أي منذ كان الدكتور طه حسين لا يزال في مرحلة طلب العلم .

استمد الأستاذ أحمد الإسكندري قوة تأثيره المجتمعي من الدأب والاستقامة والموسوعية ومن بنائه لنفسه طرازاً رفيعاً من الأستاذية المستحقة والممتدة والملمة بمعارف العصر وتراث الأقدمين معا . فضلا عن هذا فإن التاريخ غير المكتوب حتى الآن يحفظ لهذا العالم الوطني الجليل فضله حين استطاع بقوة منطقته أن يتصدى أمام العالم كله لدعوة فرض العاميات على التعليم في البلاد العربية حين طرح هذا الموضوع في مؤتمر المستشرقين ١٩١١ وقد أنصفه المستشرقون في تأييد رأيه القائم على العلم والاستقصاء وذلك في مواجهة ما كان قد اقترحه يعقوب أرتين باشا وكيل وزارة المعارف الشهير .

أما قصة كفاحه العظيم من أجل العلم فتدل بوضوح على إيمانه وتجرده كما نرى من سفره الى القاهرة على قدميه من نصف الطريق .

سفره إلى القاهرة على قدميه من أجل العلم

يكتب اسمه أيضاً: أحمد السكندري وأحمد الإسكندراني، ويكتب كاملاً: أحمد عمر علي الإسكندري في بعض الأحيان، لكن شهرته تجعل اسمه ثنائياً في أغلب الأحوال.

ولد الأستاذ أحمد علي عمر الإسكندري في ٢٦ فبراير ١٨٧٥ بالإسكندرية، وتلقى تعليمه الأولي في الكتّاب، وحفظ القرآن الكريم في سن مبكرة، وألحت عليه مواهبه أن يلتحق بالأزهر الشريف في القاهرة على الرغم من اعتراض والده وعائلته، وقد روى صهره الأستاذ محمد أحمد برانق (الذي خلفه بعد مدة في عمادة اللغة العربية في وزارة المعارف) قصة مغامرته فقال:

" صمم الغلام أحمد الإسكندري على الرحلة إلى القاهرة، وجمع كتبه وحزمها، وخرج في غفلة من أهل الدار، وليس في جيبه إلا دريهمات كان قد ادخرها، وصحبه في سفره اثنان لا أذكر اسميهما، أما أحدهما فإنه تخلف في حدود الإسكندرية، وأما الآخر فإنه صحب أحمد و مركباً يسير في ترعة المحمودية حتى وصلا إلى مدينة كفر الزيات. وهنا نفذ زادهما ودريهماتهما، فعاد الرفيق إلى الإسكندرية، أما هو فإن عزمه حديد لا يفل؛ فقد حمل كتبه على ظهره، ومشى على قدميه من مدينة كفر الزيات حتى وصل إلى القاهرة وهو حدث".

" وفي سنة ١٨٩٤ التحق بمدرسة دار العلوم، وكان أصغر زملائه سناً، وأنبههم ذكراً، وأوسعهم معرفة. وكان من عادة المدرسة حينئذ أن تعقد في أول كل سنة دراسية اختباراً عاماً لطلبة المدرسة في كتب تعيينها (تحدها) لهم، ثم في المعلومات العامة، فكان الإسكندري [يفوز] في كل عام فتخصه المدرسة بجوائزها، وكانت له موضوعات [حازت] إعجاب أساتذة الإنشاء في عصره، فأطروها ونشروها منسوبة إليه في كتب لهم؛ ولعل من هؤلاء الشيخ مفتاحاً - إن لم تكن الذاكرة قد خانتني - فإنه نشر له موضوعاً في وصف قنطرة قصر النيل (كوبري الخديو إسماعيل الآن) في كتاب له"

وظائفه

تخرج الأستاذ أحمد الإسكندري في دار العلوم سنة ١٨٩٨، وهي الدفعة التالية لدفعة الشيخ عبد العزيز جاويش و الشيخ أحمد إبراهيم عميد أساتذة الشريعة الموازي في مجده الأكاديمي و الجامعي للشيخ الإسكندري ، واشتغل بالتدريس في المدارس الأميرية، وسرعان اختير ناظراً لمدرسة المعلمين الأولية بالفيوم، فمدرسة المعلمين الأولية بالمنصورة.

وفي سنة ١٩٠٧ أي بعد ٩ سنوات فقط من تخرجه انتقل الأستاذ أحمد الإسكندري إلى دار العلوم لتدريس علمي الإنشاء والأدب العربي ، وظل يزاول ذلك العمل بتلك المدرسة زهاء سبعة وعشرين عاماً، و قد قيل إن جميع من تخرجوا في دار العلوم من سنة ١٩٠٧ إلى سنة ١٩٣٤ تتلمذوا عليه ما عدا دفعتين اثنتين.

يروى الأستاذ برانق بعض ملامح تلمذته عليه فيقول :

"كان منهج تاريخ الأدب في دار العلوم [يقتضي]الإلمام بتراجم كثيرة لعدد كثير من الكتاب والشعراء والخطباء والعلماء وغيرهم؛ فكانوا يضطرون إلى وضع مختصرات تشبه المتون؛ وهذا لا يعلم الطلبة، ولا يربي فيهم ملكة البحث فاقترح الأستاذ أحمد الإسكندري أن يكتفي بدراسة بضع تراجم بحيث "يُدرس المترجم دراسة تفصيلية تحليلية وافية، يرى فيها الطلاب نبراساً يهتدون به إذا حاولوا مزاوله البحث أو تصدوا لاستقصاء أي عمل علمي؛ وحمل هو هذا العبء بادئاً ونهض به. وكان من حسن حظي أن كنت من أول من تتلمذوا عليه حين زاول هذا العمل، فاستفدنا منه أجل فائدة"

مؤتمر المستشرقين في اليونان

مثل الأستاذ أحمد الإسكندري مصر في مؤتمر المستشرقين الذي انعقد ١٩١١ في بلاد اليونان بصحبة ثلاثة من الأحامدة : الأمير أحمد فؤاد (جلالة الملك فؤاد فيما بعد)، وأمير الشعراء أحمد شوقي بك ، وشيخ العروبة أحمد زكي باشا، وحفني

ناصر بك، ودعي للحديث في موضوع اللغة العربية الفصحى، وقلة انتشارها بين الغالبية العظمى من أهل الممالك الإسلامية المختلفة. وكما أسلفنا القول في مطلع حديثنا فقد عرض في المؤتمر على جماعة المستشرقين الاستفتاء في رأى يعقوب أرتين باشا وكيل وزارة المعارف إذ ذاك، في هيئة سؤال ذي خيارين على نحو ما أصبحنا نحن أساتذة الطب نفعل في مطلع القرن الحادي والعشرين : (هل يجوز أن تحل في كل بلد لغة أهله العامية - وهي لغة السواد الأعظم - محل اللغة الفصحى في الكتابة، وتستعمل في المخاطبة؟) وذكر لغات البلاد العامية ولهجاتها المختلفة، وأدب كل لغة في نثرها ونظمها.

وقرأ الأستاذ أحمد الإسكندري ذلك من كتاب له غير مطبوع [قال الأستاذ أحمد الإسكندري للمؤتمرين إن يعقوب باشا أرتين كلفه بوضعه عن لغات هذه الشعوب الإسلامية العامية]، ففضى في بحث هذه اللغات واللهجات بضع سنين، واقتبس منها ما دونه في كتابه المذكور، وهي لغات العامة في بلاد العرب والشام والعراق ومصر وتونس والجزائر ومراكش وغيرها من البلاد التي يتكلم أهلها اللغة العربية بلهجتها العامية الخاصة بها.

قرار الانتصار للفصحى

وعلى ما روى الأستاذ أحمد الإسكندري نفسه فقد اهتم الحاضرون والمستشرقون بهذا البحث وناقشوه فيه، وقضوا وقتاً طويلاً في مباحثته ومساجلته، ثم انتهوا من ذلك إلى قرار صريح بأن اللغة العربية الفصحى هي اللغة التي تصلح للبلاد الإسلامية العربية للتخاطب والكتابة والتأليف؛ وأن من واجب حكومات هذه البلاد أن تعني بنشرها بين الطبقات الشعبية لتقضى على اللهجات العامية التي لا تصلح كلغة أساسية للأمم تجمعها جامعة الدين والعادات والأخلاق.

وكان هذا القرار فوزاً بالغاً له سر به الوطنيون، لأنه كان تعزيزاً لرأيه ضد رأي أرتين باشا، وهو نصير اللغة العامية، ونصير إحلالها محل اللغة العربية الفصحى.

تحرير التعريف برسم المصحف الشريف

اشترك الأستاذ أحمد الإسكندري مع الأستاذين حفي ناصف، ومصطفى عناني فيما عرف بلجنة اعتماد الرسم العثماني للمصحف الشريف، وتحرير التذييل المثبت في آخر الطبعة المعتمدة من الحكومة المصرية تحت عنوان «تعريف بهذا المصحف الشريف»، وهي النبذة الوافية التي لا تزال ملحقة و مقتبسة في كل طبعات المصحف، ومنها طبعة الأزهر الشريف.

وإلى هذه اللجنة يعود الفضل في وضع قواعد الوقف في المصحف الشريف، ورموز السجدة وأرباع الأحزاب في القرآن الكريم، وكان عمل اللجنة يقتضي مراجعة رسم المصحف على الرسم العثماني الأصلي، وإلى هذه اللجنة يعود الفضل في علامات التوقف الواجبة (م)، والوقف الجائز الأولى (قلي)، والوصل الجائز الأولى (صلي) والوقف الممتنع (لا)... إلخ.

وقد لاحظ أستاذنا الدكتور محمد رجب البيومي أن أسماء هؤلاء الأعلام الثلاثة لا تذكر في نهاية تعريف المصحف الشريف، لكن السبب في هذا يعود إليهم، وإلى تواضعهم وإنكارهم لذاتهم؛ حيث إنهم أنجزوا عملهم دون أن يثبتوا توقيعاتهم على نحو ما يفعل مراجعو نسخ المصحف الآن.

ريادته في تدريس فقه اللغة

كان الأستاذ أحمد الإسكندري أول من اقترح تدريس فقه اللغة في مدرسة دار العلوم، وكان غير معروف من قبل في المدارس المصرية. وتقدم لإنجاز المنهج، وحمل عبء تدريسه، فقسمه قسمين: قسم فلسفي نظري يتعلق بنشأة اللغات والاشتقاق والنحت واختلاف اللهجات وغير ذلك؛ وقسم نظري يتعلق بوضع الألفاظ اللغوية للمسميات، كما أنه ألقى محاضرات مبكرة عن فقه اللغة ونشرها في عام ١٩٢٥.

وقد شارك الأستاذ أحمد الإسكندري في الدراسات المتصلة بالتهجي العربي، وما كان يتصل باختصار صندوق الطباعة.

كتابه المبكرة عن اللهجات

كانت للأستاذ أحمد الإسكندري جهود رائدة في أكثر من ميدان من ميادين الدراسات اللغوية، فكتب مبكرًا عن اللهجات العامية، وكان رائدًا في دراسات التأصيل اللغوي الصحيح لهذه اللهجات.

انتقاله إلى كلية الآداب

على نحو ما أشرنا في مطلع حديثنا فإنه في عهد وزارة إسماعيل صدقي باشا انتقل الأستاذ أحمد الإسكندري إلى كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول (القاهرة) أستاذًا للأدب العربي، ليحل محل الدكتور طه حسين الذي نقل إلى الوزارة مبعدًا عن الجامعة في عهد وزارة إسماعيل صدقي. وهكذا فإن قرار تعيينه عضواً في مجمع اللغة العربية (في ١٩٣٣) نص على أنه أستاذ اللغة العربية في وزارة المعارف، وهو ما دعا الدكتور محمد مهدي علام في مقدمة كتاب «المجمعيون في خمسين عاماً» إلى التعجب، معتبراً أن الأولى أن يقال إنه أستاذ في دار العلوم، لكن واقع الأمر أنه كان قد ترك دار العلوم ليشغل وظيفة الأستاذية في كلية الآداب في الجامعة، وكانت الجامعة شأنها شأن دار العلوم تابعة كما نعرف لوزارة المعارف، وهكذا أصبح هذا هو وصفه الدقيق كما نص القرار الصادر بالأعضاء المؤسسين لمجمع اللغة العربية.

الهالي باشا يدعو للعمل الاستشاري بعد تقاعده

وفي سنة ١٩٣٥ بلغ الأستاذ أحمد الإسكندري سن المعاش، فانتدب بوزارة المعارف عضوًا بالمكتب الفني، الذي كان رئيسه هو تلميذه الدكتور محمد مهدي علام، وقد كتب إليه أحمد نجيب الهالي باشا وزير المعارف إذ ذاك أنه يريد أن ينتفع بعلمه الواسع وتجاربه الطويلة في المكتب الفني في وزارة المعارف، وأن

يكون عضواً عاملاً، وقد كان ، و كانت له مشاركة تامة في وضع مناهج اللغة العربية للمدارس الابتدائية والثانوية، وفي مراجعة الكتب العربية لهذه المدارس.

تأليفه المدرسية والجامعية

كان الأستاذ الإسكندري قد وضع على مدى حياته الوظيفية كتباً جامعية ومدرسية كثيرة ذات مستويات مختلفة، وكان مع الأستاذ علي الجارم وزملائهم ومنهم الدكتور طه حسين والأستاذ أحمد أمين والأستاذ أحمد العوامري بمثابة جيل جديد من مؤلفي الكتب المدرسية بعد جيل حفني ناصف بك و الشيخ حمزة فتح الله وقبل جيل الدكتور محمد مهدي علام، وإن كان قد اشترك مع الجيل التالي في بدايلتهم بحكم حاجتهم إليه، وقدرته على العمل الجاد.

نشاطه البارز في المجامع اللغوية

كان الأستاذ أحمد الإسكندري كما هو معروف من الرعيل الأول المؤسس لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٩٣٣، وهو واحد من ثلاثة من خريجي دار العلوم في هذا الفوج الأول، والأخيران هما: الأستاذ علي الجارم (١٨٨١ - ١٩٤٩)، والأستاذ أحمد العوامري (١٨٧٦ - ١٩٥٤)، و بالترتيب الأبجدي لهؤلاء المؤسسين فإنه يحتل المقعد الثاني من مقاعد المجمع ، ومن الجدير بالذكر أنه كان ثاني من توفي من أعضاء المجمع المصريين (بعد الشيخ حسين والي) وظل كرسيه خالياً حتى شغله زميله الأكبر منه سناً والمتخرج قبله بسنة الأستاذ الشيخ أحمد إبراهيم عام ١٩٤٢ وحتى وفاته ١٩٤٥، وهو الكرسي الذي تشرفت بأن أكون سادس من شغله بعد أن آل إلي الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني فيما بين ١٩٤٧ و١٩٤٩ والأستاذين الدكتورين أحمد عمار ما بين ١٩٥١ و١٩٨٣ و عبد العظيم حفني صابر ما بين ١٩٨٥ و ١٩٩٩ .

لكن الأستاذ أحمد الإسكندري فيما قبل ذلك شارك في نشاط كل المجامع اللغوية التي أنشئت قبل إنشاء مجمع اللغة العربية، مثل مجمع نادي دار العلوم، ولجنة

المصطلحات العلمية بوزارة المعارف، والمجمع اللغوي المصري الذي أنشئ في سنة ١٩١٧، أي مجمع دار الكتب الذي راسه أحمد لطفي السيد باشا، والمجمع اللغوي الذي رأسه شيخ الأزهر الشيخ سليم البشري، و مجمع إدريس راغب.

وفي مجمع اللغة العربية بالقاهرة أسهم الأستاذ أحمد الإسكندري مساهمة فعالة في نشاط المجمع، ولما تكونت اللجان الفرعية ساهم في أكثرها، فكان عضواً في سبع لجان من إحدى عشرة لجنة هي مجموع لجان المجمع ، وهي لجنة الرياضات، ولجنة العلوم الطبيعية والكيميائية، ولجنة علوم الحياة والطب، ولجنة المجلة، ولجنة خزانة الكتب، ولجنة الميزانية، ولجنة الأصول العامة.

كما كان الأستاذ أحمد الإسكندري عضواً في لجان فرعية أخرى مؤقتة كانت تؤلف لنظر بعض القضايا العلمية مثل: لجنة المصطلحات العسكرية، واللجنة التي شكلت لبحث اقتراح الشيخ محمد الخضر حسين بإصدار قرار في الاستشهاد بالحديث في اللغة.

و قد تواترت شهادات المجمعين له بأنه كان في جلسات المجمع الأصلية والفرعية إذا أشكل أمر أو أظلمت مسألة خرج هو على الأعضاء بما يزيل اللبس ويكشف الغموض والإبهام. وكانوا جميعاً يعترفون له بالسبق، ويعتبرونه جهيزة تقطع قول كل خطيب.

عضويته بالمجمع العلمي العربي بدمشق

انتخب الأستاذ أحمد الإسكندري عضواً مراسلاً بالمجمع العلمي العربي بدمشق الذي تأسس بصفة رسمية منذ ١٩١٩ .

محاربه استعمال الألفاظ الأجنبية

كان الأستاذ أحمد الإسكندري يحب اللغة العربية ويتعصب لها تعصباً جعله يصل إلى أن يصف من يتهاون في أمر من أمورها بالزندقة والإلحاد. وكان يعتبر التساهل

وفتح الباب للغات الأجنبية، لغزو اللغة العربية، جريمة شنيعة ، وفي محاضر جلسات السنة الأولى للمجمع اللغوي ما يدل على أنه جاهد جهاداً شديداً حتى جعل المجمع يوافق على عدم اللجوء إلى التعريب إلا لضرورة قصوى. وكان يعجب من القوم الذين يعيبون على المجمع استعمال ألفاظ غريبة لمسميات جديدة، لأنه كان يرى أن هذه الألفاظ وإن بدت غريبة الآن فإنها بالاستعمال والمران تسهل على السمع وتجرى على اللسان، وهي أصون للغة من الدخيل. وقد كان للأستاذ أحمد الإسكندري في قضية التعريب مواقف مشهودة وقفها في نادي دار العلوم القديم الذي كان يرأسه المرحوم عاطف بركات باشا، وفي المجمعين اللغويين الأهليين القديمين اللذين رأسهما المغفور له العلامة الشيخ سليم البشري ولطفي السيد باشا.

اقتراحاته الذكية

كان الأستاذ أحمد الإسكندري قد اقترح في إحدى دراساته ضرورة إثبات النطق الدارج بجانب الأصل العلمي المثبت في المصطلح.

سلطة المجمع

كما حاول الأستاذ أحمد الإسكندري أن يضع القواعد الكفيلة بتنظيم سلطة الدور المجمع في اللغة، وقد اختار لهذا الموضوع عنوان: «الغرض من قرارات المجمع والاحتجاج بها».

تجنبه للسياسة

يروى أنه في سنة ١٩٢٢ عرض على الأستاذ أحمد الإسكندري أن يشترك بنفسه في المعتزك السياسي، وأن يحرر مقالات سياسية في الصحف اليومية، يؤيد بها حزباً معيناً، فأبت عليه نفسه أن يفعل، محتجاً بأن العلماء أحرى بهم ألا يكونوا ساسة، وأن ما يتطلبه العلم من الأخلاق غير ما تتطلبه السياسة".

آثاره

كان أول كتب الأستاذ أحمد الإسكندري هو كتاب تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي، وقد أجمع الأدباء على أنه كان المعين الذي استقى منه جميع من بحثوا في تاريخ الأدب من بعده.

وقد وضع لطلبته مذكرات في العصور الأخرى ، ثم ألف كتاباً عن اللهجات العامية، قدمه لمؤتمر المستشرقين سنة ١٩١١، و كان مخطوطاً .

ثم ألف كتاباً للمطالعة للمدارس الثانوية في عدة أجزاء، وسماه (نزهة القارئ) طبع منه جزأين نفذت منهما طبعات، قررته وزارة المعارف سنة ١٩٣٤، ولكن أموراً شكلية تتعلق بشروط قائمة بينه وبين الناشر ماكميلان حالت دون التنفيذ ، وألف كتاباً عاماً في الأدب العربي في جميع عصوره، يقع في بضعة آلاف صفحة، وكان في نيته أن يطبعه، وتفرغ في السنة الأخيرة من حياته لوضع مقدمة له وصفها هو بأنها: تقع من تاريخ الأدب موقع ابن خلدون من التاريخ، ولكن عاجلته المنية:

- تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي.
- فقه اللغة: محاضرات ألقاها بدار العلوم ونشرها عام ١٩٢٥ (وكانت له مؤلفات في فقه اللغة كان يضعها لتلاميذه؛ لكنه لم يجعلها كتاباً عاماً لاعتقاده أن هذا من شؤون الخواص) .
- اللهجات العامية.
- تاريخ العرب قبل الإسلام.
- نزهة القارئ في المطالعة الثانوية (جزآن).
- الوسيط في الأدب العربي (بالاشتراك).
- الأدب العربي للمدارس الثانوية (بالاشتراك).
- قواعد اللغة العربية للمدارس الابتدائية والثانوية (٧ أجزاء) بالاشتراك مع الدكتور طه حسين والدكتور محمد مهدي علام وآخرين.
- الأدب العربي في جميع عصوره (مخطوط).

ومن بحوثه وكلماته في المجمع اللغوي

- التضمين.
- تيسير الهجاء العربي.
- الغرض من قرارات المجمع والاحتجاج لها.
- جموع التكسير القياسية.
- إثبات النطق الدارج بجانب الأصل العلمي.

من آراء انداده فيه

كان الأب أنستاس ماري الكرملّي على جلالته قدره يعترف له بالفضل والأستاذية، وقد كتب إليه يوماً يقول:

" . . . جاءني كتابك وفيه من سبحات النور ما جعلني أدعو الله أن يزيدك فضلاً وعلماً للمستجبرين بك واللاندين إلى بحر عرفانك الجم. ولو كان في الإسلام في عصرنا هذا عشرة مثلك في مصر. لانتقل الحنفاء جميعهم إلى هذه الديار المباركة للاقتباس من فيض نورك المتدفق. . . (الخ).

رثاء الدكتور منصور فهمي

" . . . حين جمعتني وبعض زملائك حلقة من حلقات المجمع اللغوي - كنا نقول فيما كنا نتذاكر فيه: انتظروا السكندري، وأرجئوا المسألة فعند السكندري علم ما أشكل علينا، ولديه حل ما استعصى علينا، والآن يموت خلال المشكلات، والمرتجى في اللغة للمستعصيات".

رثاء ابنه الروحي الأستاذ محمد أحمد برانق

" كان هيناً، ليناً، صريحاً، أبيعاً، عذب الحديث، بارع الجد، حلو الفكاهة، سريع خاطر، حاضر النكتة، ظريف التفصيل والجملة، ميالاً إلى العزلة، فكان يقضي في بيته أياماً لا يبرحه. وكان كثير القراءة، تمر به أيام يقرأ فيها خمس عشرة ساعة أو

أكثر في اليوم. وكان سريع التعليق، ويقتني مكتبة عظيمة، وليس فيها كتاب لم يقرأه ولم يعلق عليه".

" وكان أهم ما يعني به في قراءته بعد أن استوعب الكتب القديمة مطبوعة وخطية - هو الكتب المترجمة، وكان أول ما يقرأ في الصحف برقياتها الخارجية

"أما معلوماته العامة فواسعة المدى، فهو سياسي مع الساسة، وأثري مع علماء الآثار، ومصور مع علماء التصوير، واجتماعي مع رجال الاجتماع، وهو كذلك رياضي وطبيعي وكيميائي ومؤرخ. وكانت له في كل هذه العلوم مشاركة تامة تدل على استبحاره. والموضوعات التي عالجه في كتابة نزهة القارئ، والكلمات التي وضعها في مجلة المجمع، ورسائله الأخيرة التي قدمها للمؤتمر الطبي العربي ببغداد - كل هذا يشهد بأنه كان ذا نشاط جم، وعقل جبار

"..... تشهد مجالسه مع أصدقائه بما كان له بينهم من جليل القدر وعظيم الأثر. حدثني أحد الفضلاء أنه شكا إليه يوماً تخبط الإنجليزية واضطرابها في شرح نظرية دارون، وأنه تعب كثيراً في التقصي والبحث إلا أنها لم تصر جلية في ذهنه كما يجب، فأفاض الشيخ في شرح هذه النظرية ببيانه المعروف عنه، وتوضيحه وتذليله وتصويره للحقائق في أيسر صورها، حتى ترك صاحبه ومن كانوا معه يقولون: كأن دارون لم يفرض بحقيقة نظريته إلا له، فاخصه الله القدرة على تفهيمنا.

"وكان إذا أراد أن يعالج موضوعاً عالجه غيره من المحدثين لا يطلع على ما كتبه ذلك الغير إلا بعد أن يكتب. وكان في كبره لا يهاجم من يخطئون كما كان يفعل أيام شبابه، ولكنه كان يرد عليهم في أثناء بحثه من غير إشارة إليهم ومن غير أن يمسه من قرب أو من بعد. وكان موضع الثقة من كثير من العلماء الأعلام، يرسلونه ويستفتونه في كثير من المسائل التي يشتبه عليهم الأمر فيها، أو لا يهتدون إلى مصادرها

من أشعاره الجميلة

أنشودة الطالب النبيل

لا سقاني النيلَ يوماً من ظما
وعَداني فضلَ أبائي الالى
إن طلبتَ العلمَ إماماً، ولم
أو حدقتَ العلمَ لا اشفعة
أو حمدتَ القولَ لا اتبعه
أو قرأتَ الكتبَ ابغي سبّقا
انا لا ارغب في العيش إذا
كيف اشقى، والورى تسعد من
كيف استاهلَ وصفَ العلم إن
اكرمُ النفسَ، واعلي معشري

وتجرّعتُ زعاقا علقما
شرفوا العُربَ، وزانوا العجما
اتخذهُ لابتكارٍ سلما
بخصالٍ تتسامى كرمما
بمقالٍ لي يتلى حكما
في امتحانٍ، ثم انسى كل ما
كان حظي منه جهلا وعمى
ققو اثار جُدودي العظما
لم يكن لي منه حظ العُلما
تمّ لا احرم من تحت السما

قصيدة دعوة الداعي

نسبي في ذرا النسب
وباخبار امتي
لغتي دون غيرها
لغة الدين والدنا
وبلادي بنيلها
لم لا ارتقي ولم
الما قيل انني

من قدامى ومن عرب
سار من قصص او كتب
سلمت من يد النوب
لغة العلم والادب
تربة تنبت الذهب
يك للعجز من سبب؟
لا نظام ولا داب

او	لما	قيل	انني	اطلب	الرزق	من	كتب
او	لما	قيل	انني	جهلي	الآن	قد	غلب
فلئن	كان	كل	ذا	سببا	انه		العجب
ليس	بي	نقص	فطرة	عائق	لي	عن	الارب
إنما	الامر	عزيمة		بعثها	الآن	قد	وجب
فهلّموا	إلى	الغلا		نستعد	بعض	ما	ذهب
ننشد	العلم	نافعا		في	ديار		ومعترّب
فترقي		صناعة		مسها	الضّر		والعطب
ونحابي		زراعة		لم	تزل	بعد	في
ونعاني		تجارة		اصبحت	خير		مكتسب
كل	صعب	ميسر		لذي	جد		في
							الطلب

قصيدة مثال الطالب النجيب

من	منشيد	من	كتب	شعر	كرام		العرب؟
ومن	اراه		مחסنا	نطق	اللسان		الاجنبي
ثم	يكر		دارسا	للعلم	بعد		الادب
يكون	حيناً		راكضاً	وممعنا	في		اللعب
تمت	لا	يلبث	ان	يجلس	بين		الكتب
فلا	قريبات		له	يوصينه			بالداب
ولا	اب		يلومه	في	طلب	لم	يجب
حذق	الدروس		عندة	يروق	ان	لم	يجب
إخال	هذا		طالباً	يروم	اسمى		مطلب
وانه	ابن		قرّة	لعين	ام		واب

كانني	به	وفد	سما	رفيع	الرتب
وعَدَ	في	اوطانه	من	الفحول	النجب
ودَوَّنت	اخباره	في	صفحات	الحقب	
إذ ليس	بعد	العلم	في	درك	الغلا من سبب

قصيدة الشاعر الجارم في رثائه مع زميليه

نظم الأستاذ علي الجارم قصيدة رثاء لأول ثلاثة توفوا من أعضاء مجمع اللغة العربية، وكانوا هم: الأستاذ أحمد الإسكندري، والشيخ حسين والي، والمستشرق الإيطالي نلينو، بعنوان «غداً في سماء العبقرية نلتقي». وقد أوردنا مطلع هذه القصيدة في الفصل السابق من هذا الكتاب، في الفصل الخاص بالشيخ حسن والي.

مخاطبة الجارم للإسكندري

ويخاطب الشاعر علي الجارم صديقه وزميله الأستاذ أحمد الإسكندري معبراً عما يفتقده بغيابه من صولات الحق الهادر وقذائف الصواب والتصويب وإمارات الحكمة والكفاءة فيقول:

الحمدَ اين الامسُ والامسُ لم يَعُدْ	سوى ذكرياتٍ للخيالِ المورِّقِ
كاني اراك اليومَ تخطبُ صائلاً	وتهدرُ تهذارَ الفينقِ المُشْتَقِيقِ
تنافحُ عن بنتِ الصَّحاريِّ مُشَمِّراً	وتفتحُ من اسرارها كلَّ مُغلقِ
مَضَى حارسُ الفصحى فخلده اسمه	كما خلد الاعشى حديثَ المُخلَقِ
فقدنا به زينَ الفوارسِ إن رمى	اصابَ وإن يَزخ العنانينِ يَسِيقِ
فقل للذي يَسْمُو لذيلِ غباره	ظلمت العتاقَ الشَيْظِمِيَّاتِ فارفقِ
إذا ما رمى عندَ الجدالِ عِبَاءَهُ	رَمَاكَ بِسَيْلِ يَفْذِفُ الصَّخْرَ مُغْرِقِ
فجانِبْ إذا كنتَ الحَكِيمِ سؤالا	وَاطرقِ إلى ارائهِ تَمَّ اطرقِ

علاقة الإسكندري بالشيخ حسين والي

نشير هنا (من دون تكرار لأبيات الشاعر الجارم) إلى ما قدمناه في الفصل السابق الخاص بالشيخ حسين والي من حديث الشاعر علي الجارم عن علاقة الأستاذ أحمد الإسكندري بالشيخ حسين والي، وما كان يدور بينهما من الحوار الراقي الحافل بالعلم والمحترم للاختلاف مع تصوير بديع لواقعة من وقائع اختلاف الأستاذين الكبيرين في الرأي مع سلامة المنطق ولين الخطاب و البعد عن اللجج وهو يصور تلويح أيديهما كأنها إشارات رايات الفصحي .

وفاته وتكريمه و الدراسات عنه

توفي الأستاذ أحمد الإسكندري في ١٩ إبريل سنة ١٩٣٨ بعد مرض ألزمه الفراش أسبوعين و أشارت مجلة الرسالة ١١ يوليو ١٩٣٨ إلى حفلة تأبين يقيمها أدباء بيروت، أحاديث ألقىت من محطة الإذاعة في فلسطين.

نوقشت عن جهود الأستاذ أحمد الإسكندري اللغوية والأدبية رسالة للماجستير في معهد الدراسات العربية العالية بجامعة الدول العربية، تقدم بها الأستاذ إبراهيم عبد الرازق عز العرب. وقد اشترك في مناقشتها الدكتور محمد مهدي علام، والأستاذ محمد خلف الله أحمد، والدكتورة سهير القلماوي.

المحتويات

إهداء.....	ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.....
هذا الكتاب.....	٦.....
الفصل الاول : الرحالة محمد عمر التونسي.....	١٣.....
أبرز علماء متن اللغة في القرن التاسع عشر.....	١٣.....
أول التونسيين الخمسة.....	١٣.....
دراستنا عن القيروانيين.....	١٤.....
مكانته بين علماء اللغة.....	١٤.....
قيمته كمعجمي صانع لمعجم.....	١٤.....
قيمة إسهامه في أدب الرحلات.....	١٥.....
نشأته.....	١٥.....
اعتزاز الدكتور الفقي بما وصل اليه التونسي.....	١٦.....
دوره اللغوي والمنهجي في مدرسة الطب.....	١٦.....
صياغته الجميلة لعناوين كتبه.....	١٧.....
قيمة معجم الشذور الذهبية في الألفاظ الطبية.....	١٧.....
منهجه في معجمه الذي شمل أيضا العقاقير والأعلام.....	١٧.....
الاحترام الذي حظي به معجمه.....	١٨.....
الجدوى المباشرة لمعجمه.....	١٨.....
معجمه هو جهده الأعظم.....	١٨.....
دوره في نشر كلاسيكيات المؤلفات العربية (التراث).....	١٨.....
تدينه وعلمه.....	١٨.....
مؤلفاته.....	١٩.....
مراجعة و تنقيح كتب الأستاذ الفرنسي براون.....	١٩.....
راجع و صحح.....	١٩.....
أسهم في مراجعة و تحقيق.....	١٩.....
وفاته.....	١٩.....
الفصل الثاني : الشيخ محمد قطة العدوي.....	٢٠.....
عميد المحققين القدامى وسيد المدققين الفصاحي.....	٢٠.....
مكانته بين العلماء.....	٢٠.....
شهرته الطاغية.....	٢٠.....
تكوينه العلمي وشهرته المبكرة.....	٢١.....
نهجه في التعريف بما حققه من خلال الخاتمة.....	٢١.....

٢٢	نبوغه في علمي التفسير والفقہ المالكي
٢٢	مناظراته مع الشيخ سليمان الجمل
٢٢	آثاره
٢٣	جهده في تفسير الزمخشري
٢٣	تحقيقاته في علوم الفقہ
٢٣	وفاته
٢٤	الفصل الثالث : العلامة نصر الهوريني
٢٤	واضع دستور الإملاء العربي و أول علماء المعاجم
٢٤	نشأته و وظائفه
٢٥	رئاسته للتصحيح في المطبعة الاميرية
٢٥	شهرته نبعت من نشره للقاموس المحيط
٢٥	ريادته لعلم المعجمية
٢٦	عوامل تفوقه
٢٦	تأريخه لعلم المعاجم
٢٦	وصف الدكتور البيومي لجهده
٢٧	الشرح الكاشف الذي أظهر به جهد الفيروزبادي
٢٧	العميد المؤسس لعلم الإملاء
٢٨	اعتراف الأب الكرملی بنفوذه العلمي
٢٨	تعليق د. البيومي على رأي الأب الكرملی
٢٩	استدراكنا اليسير
٢٩	دوره في تحقيق التراث
٢٩	أسلوبه في التحقيق التاريخي لأعمال ابن خلدون
٢٩	كان يملك اعتداد العلماء الوثائقين
٣٠	آثاره
٣٠	في البلاغة و لغة الأدب
٣٠	وفاته
٣١	الفصل الرابع: إبراهيم الدسوقي بك
٣١	العلامة الأزهري الذي طوع العربية للهندسة والطب
٣١	التفريق بين من يحملون الاسم
٣٢	نشأته
٣٢	نسبه و مولده
٣٢	الأستاذان اللذان تأثر بهما
٣٣	تكوينه الثقافي و وظائفه

٣٣	وظائفه المبكرة
٣٣	نشاطه الصحفي المبكر
٣٤	ريادته للصحافة العلمية و الطبية
٣٤	نشاطه في مدرسة المهندسخانة
٣٤	فضله في مصطلحات الهندسة
٣٥	خطوته الثالثة : انتقاله للمطبعة الاميرية
٣٥	أضاف إلى التصحيح التعريف والتقديم والتحقيق
٣٥	تحقيق ديوان المتنبي
٣٥	بعض الكتب التي حققها وقدم لطباعتها
٣٦	رسالة في فضائل الخيل
٣٦	وصف احمد امين لحيلته في سجع اسمه
٣٧	عمله الأشهر : اشتراكه مع المستشرق لين في شرح القاموس
٣٧	قصة اتصاله بالمستشرق لين
٣٨	فضل الشيخ الدسوقي في إتمام العمل
٣٨	رأي أحمد أمين عن علاقة الشيخ الدسوقي بقصة علم الدين
٣٩	شعره
٣٩	من مديحه للخديو إسماعيل
٤٠	وفاته
٤١	الفصل الخامس : حمزة فتح الله
٤١	زعيم المحافظين الذي كان أول من دعا لحقوق المرأة
٤١	وجوه التماثل مع الشيخ محمد عبده
٤٢	نشأته وشبابه
٤٢	عودته الى مصر ووقوفه مع الخديو
٤٣	وصوله لأعلى مناصب وزارة المعارف
٤٣	أول أساتذة الادب الرسميين في المدارس العليا
٤٣	دوره في تطوير الدراسات و المعاجم المتاحة في المكتبة العربية
٤٤	فكرة تطوير المعاجم المتاحة
٤٤	الصورة الذهنية المنطبعة عنه
٤٥	كان اقرب للأصولية
٤٥	تعصبه الجاد للعربية وللعروبة
٤٥	تأثره بعبد الله فكري باشا
٤٦	دعوته لتحرير المرأة
٤٦	رأي الأستاذ أبو القاسم كرو
٤٦	لقاءاته بالمستشرقين في مؤتمراتهم

٤٦	شعره ونثره
٤٧	آثاره
٤٧	قصائده الكبرى
٤٧	مختارات من قصيدته " حمد السرى "
٤٨	مختارات من قصيدته طلابُ العُلا
٤٨	وفاته
٤٩	الفصل السادس : الشيخ أحمد الحملاوي
٤٩	مداح النبي الذي سقانا معمار اللغة العربية و زخارفها
٤٩	أول من نال العالمية بعد دار العلوم
٤٩	قدرته الباهرة كمؤلف
٥٠	المستوى التربوي الرائع الذي أوصل علوم اللغة اليه
٥١	ذبوع مؤلفاته
٥٢	آية من آيات التفوق
٥٢	شاعريته
٥٢	نشأته
٥٣	وظائفه
٥٣	العالمية و المحاماة والمجد
٥٣	وصف الأستاذ مصطفى السقا لشخصيته
٥٤	حب الأدب قاده إلى حب اللغة
٥٥	الأستاذ السقا يراه أبرز تلاميذ ابن هشام
٥٥	متابعته للإنتاج الفكري
٥٦	شعره الإيماني ومدائحه النبوية
٥٦	يا خير من سجدت لله جبهته
٥٧	نور النبي على العوالم أسفرا
٥٧	فهمه للارتقاء البشري
٥٨	البشارات النبوية
٥٨	الإسراء والمعراج
٥٩	معجزات النبي عليه الصلاة والسلام
٦٠	أشعاره السنوية في الامام الشافعي
٦١	الاعتقاد في بركات الإمام الشافعي
٦١	وصف وفود الزائرین
٦٢	قصيدته الجميلة : الفخر بالعمل لا بالجاه
٦٣	قصيدة الحملاوي في الامام الدردير و تعلقه به
٦٣	بركات الشيخ الدردير

٦٤	الفوائد الروحية
٦٥	شعره الاحتفالي
٦٥	في رثاء حسن توفيق العدل
٦٥	قصيدته: ما كل رزء مثل رزئك يا حسن
٦٧	شعره السياسي
٦٨	رثاء مصطفى كامل
٦٨	يتحدث باسم الزعيم مصطفى كامل
٦٩	تلاميذه
٦٩	ديوانه
٦٩	مؤلفاته
٦٩	وفاته
٧٠	الفصل السابع سلطان محمد بك
٧٠	اللغوي الذي أسس لتدريس الفلسفة العربية
٧٠	مكانته في جيله
٧١	عمله بالتدريس و قيمته التربوية
٧١	من الجيل الأول لمؤلفي الكتب المدرسية
٧١	آثاره
٧٢	الفصل الثامن محمد شريف سليم
٧٢	أول الأساتذة المؤلفين في التربية
٧٢	نشأته و تعليمه
٧٣	انتدابه للتدريس في فرنسا ست سنوات
٧٣	تأهيله الفرنسي و رحلته المخطوطة
٧٤	عمله بعد عودته
٧٤	ريادته للتأليف العربي في علم النفس
٧٤	اختياره للتفتيش في الوزارة
٧٤	اختياره ناظراً لدار العلوم
٧٥	اسهامه البارز في مؤتمر التعليم الأولي
٧٥	تمثيله مصر في مؤتمر المستشرقين بإيطاليا
٧٥	عضويته في المجمع اللغوي القديم
٧٥	عضويته في نادي دار العلوم
٧٥	آثاره العلمية
٧٦	آثاره الإبداعية
٧٦	آثاره التربوية

٧٦	موهبته الفنية في الخط
٧٦	إنتاجه الشعري والأدبي
٧٦	قصيدته مفخرة الشرق
٧٨	قصيدته في رثاء زميله حسن توفيق العدل
٧٩	الفصل التاسع الشيخ حسين والي
٧٩	العلامة الذي جمع السلطات الصوفية والمجتمعية و التشريعية
٨٠	عضويته في المجمع والبرلمانات
٨١	آثاره المطبوعة
٨١	من قصائده المشهورة
٨٢	نشاطه المجمعي
٨٢	آثاره المخطوطة
٨٢	قصيدته الإشارة النبوية
٨٤	قصيدته تدارك صلاح الأمر
٨٦	رأي أنداده فيه
٨٦	قصيدة الشاعر الجارم في رثائه مع زميليه
٨٧	الجارم يصف علاقة الأستاذ الإسكندري بالشيخ والي
٨٨	كتابات عنه
٨٩	الفصل العاشر : العلامة أحمد الإسكندري
٨٩	حارس الفصحى في عهد الاحتلال وعميدها بعد الاستقلال
٩٠	سفره إلى القاهرة على قدميه من أجل العلم
٩١	وظائفه
٩١	مؤتمر المستشرقين في اليونان
٩٢	قرار الانتصار للفصحى
٩٣	تحرير التعريف برسم المصحف الشريف
٩٣	ريادته في تدريس فقه اللغة
٩٤	كتابه المبكرة عن اللهجات
٩٤	انتقاله إلى كلية الآداب
٩٤	الهلالى باشا يدعو للعمل الاستشاري بعد تقاعده
٩٥	تأليفه المدرسية والجامعية
٩٥	نشاطه البارز في المجمع اللغوية
٩٦	عضويته بالمجمع العلمي العربي بدمشق
٩٦	مماريته استعمال الألفاظ الأجنبية
٩٧	اقتراحاته الذكبية

٩٧	سلطة المجمع
٩٧	تجنبه للسياسة
٩٨	آثاره
٩٩	ومن بحوثه وكلماته في المجمع اللغوي
٩٩	من أراء انداده فيه
٩٩	رثاء الدكتور منصور فهري
٩٩	رثاء ابنه الروحي الاستاذ محمد أحمد برانق
١٠١	من أشعاره الجميلة
١٠١	أنشودة الطالب النبيل
١٠١	قصيدة دعوة الداعي
١٠٢	قصيدة مثال الطالب النجيب
١٠٣	قصيدة الشاعر الجارم في رثائه مع زميليه
١٠٣	مخاطبة الجارم للإسكندري
١٠٤	علاقة الإسكندري بالشيخ حسين والي
١٠٤	وفاته وتكريمه و الدراسات عنه

Prof. Mohamed El Gawady

ISIN : 0000 0001 2122 604X

**Notable Arabic Linguists
Before University
1827-1938**





الدكتور محمد الجوّادى

نقدم في هذا الكتاب سيرة حياة عشرة من علماء اللغة العربية الأفاضل ما بين بداية العصر الحديث و صعود الجامعة المصرية، يمثلون نماذج بارزة من جيلين متعاقبين ، وينطلق الكتاب من الفهم الأوسع لآداب اللغة العربية الذي يعنى بكل قدرة بُذلت من أجل توظيف هذه اللغة في العلم ولغته، والتعليم ومناهجه، والمراجع ودقتها. كما ينطلق أيضا من التقدير الحقيقي لكل جهد يبذله أهل العلم من أجل التأصيل والتفصيل، أو من أجل التعيد والتقنين. وبالإضافة إلى جهودهم جميعا في متن اللغة والعاجم والمصطلحات فإن فروع علوم العربية وصلت على أيديهم إلى ذروتها في علوم الإملاء و الصرف والعروض و فقه اللغة وتاريخ الأدب العربي، كما ارتادوا الرحلة و ترجمة الطب، و الهندسة، وكتبوا في التوجهات الحديثة لعلوم الاجتماع والفلسفة و التربية.

• محمد عمر التونسي

• محمد قطة العدوي

• نصر الهوريني

• إبراهيم الدسوقي

• حمزة فتح الله

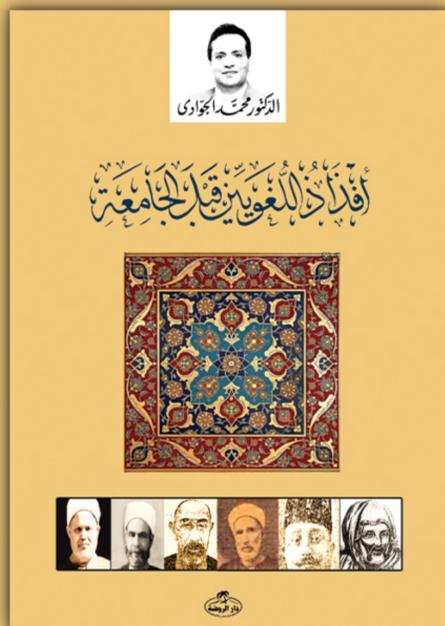
• أحمد الحملاوي

• سلطان محمد

• محمد شريف سليم

• حسين والي

• أحمد الإسكندري



37